ميزان الاعتدال
لحفظ
الدين والأحوال

العنوان: ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال

الجزء الرابع "المقربات".

تأليف: الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسني.

الطبعة: الثانية ــ دار الرسالة.

الأولى ــ مطبعة البراء.

رقم الإيداع لدى دار الكتب والوثائق(٢١٢٧) لسنة٢٠١٦م.

١٤٣٧ هــ ــ ٢٠١٦م

دار الرسالة

للطباعة والنشر
العراق – سامراء





سلسلة الحق والنور

الرسالة الثامنة

ميزان الاعتدال

لحفظ

الدين والأحوال

المؤلف

الشريف الشيخ عباس السيف نائل الحسيني

الجزء الرابع - المقربات





بسم الله الرّحمن الرّحيم

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

وَأَخْبَتُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُو۟لَٰٓئِكَ

أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ

فِيهَا خَٰلِدُونَ

ٱلَّذِينَ

يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا

وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ

المقدمة

الحمد لله الجليل الجميل على دين الإسلام، وعلى نعمة الإيمان، وعلى كرامة الإحسان.

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ـ جلَّ جلالُهُ وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيد الوجود، الحبيب المحبوب، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، والركوع والسجود للربِّ المعبود، وعلى آل بيت النَّبيِّ ـ أهل القرابة والوداد، وأصحاب رسول الله ـ أهل البيعة والرضوان، وتابعيهم بإحسان إلى اليوم الموعود ـ يوم العرض على الله الواحد المقصود؛ فهم أهل الإنابة والدعوة والاجتهاد ـ رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وارضَ عنا بهم آمين.

اللَّهـــمَّ؛ أنـــت مقصـــودنا، وأنـــت حبيبنـــا، ورضـــاك مطلوبنـــا. اللَّهـــمَّ؛ فحقـــق لنـــا بِمنِّـــك ويُمنِك يا ربّنا، آمين.

أمّا بعدُ: فها هو الجزء الرابع، من الرسالة الثامنة من رسائل الحق والنور؛ "ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال" الذي يتحدث ـ بفضل الله ورحمته، عن المرتبة الخامسة من التقوى ألا وهي: "العمل بالمقربات"، وهي الدرجات؛ وهي للعاملين "بكمال التوحيد، وكمال التقوى"؛ "وهم أهل العناية في الولاية، وهي سبيل إلى معارج القرب والرضوان"؛ لأن منازل العطاء الإلهي ثلاثة: عفو الله تعالى؛ ورحمة الله ـ جلَّ وعلا؛ ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ٧٢﴾[1] كما قال الصديق

---

(١) سورة التوبة.

أبو بكر ـ رضي الله تعالى عنه: ((رضوان الله أحبّ إلينا من عفوه))[1]؛ لأن عفو الله يقتضي أن يكون وقع شيء يعفى عنه. أما هم ففي معارج التنافس؛ كما قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾[2]، وحقائقهم في قوله ـ جلَّ ثناؤه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾[3].

---

(١) ((مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)): لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، (١١٥/٤) ((الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي)): لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ)، (١٦٦/٢).

(٢) سورة المطففين.

(٣) سورة الأنفال.

قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أي: الكاملون في الإيمان، المخلصون فيه، المتحققون بمرتبة اليقين والعرفان، المصدقون بالرسل المبينين لهم طريق التوحيد؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ؛ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً»[1]، وهذا الذوق المنبعث عن هذا الرضا: هو المعرفة بالله تعالى، والمعرفة: نور أسكنه الله تعالى قلب من أحبه الله من عباده، "ولا شيء أجمل وأعظم من ذلك النور"، وحقيقة المعرفة: حياة القلب بالمحيي ـ جلَّ وعلا، القائل: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۝٩٧﴾[2].

---

(١) ((صحيح مسلم)): لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١) كتاب الإيمان ــ باب الدليل على أن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، فهو مؤمن، رقم: ١٥٠ ((سنن الترمذي)): لمحمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) كتاب الإيمان، رقم: ٢٦٢٣ ((مسند أحمد)): لأحمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ) رقم: ١٧٧٨، و ١٧٧٩.

(٢) سورة النحل.

يُروى أن الله تعالى؛ أوحى إلى داود عليه السلام: «يا داود، اعرفني، واعرف نفسك» فتفكر داود، فقال: إلهي عرفتك بالفردانية، والقدرة، والبقاء، وعرفت نفسي بالعجز، والفناء، فقال: «الآن عرفتني»[(١)].

- ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ عندهم، الواحد الأحد، المتفرد بالإلوهية، المتوحد بالربوبية ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: خافت من هيبة الجلال، وتصور عظمة المولى؛ "وهذا الخوف لازم لأهل كمال الإيمان"، سواء كان ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلاً، أو مؤمناً تقياً نقياً [عارفاً[(٢)]]، وهذا بخلاف خوف العقاب، فإنه لا يحصل بمجرد ذكر الله تعالى، بل بملاحظة المعصية، وذكر عقاب الله انتقاماً من العصاة، وأين من يهم

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): للإمام أحمد الرفاعي (ت٥٧٨هـ)، جمعه القاضي أبي شجاع بن منجح الشافعي الواسطي ــ رحمهما الله تعالى، (ص٨).

(٢) ما بين القوسين من المؤلف.

بمعصية فيقال له: اتقِ الله؛ فينـزع عنهـا خوفـاً مـن عقابه، ممن ينزع بمجرد ذكره تعالى من غير أن يذكر هناك ما يوجب النزع من صفاته وأفعاله استعظاماً لشأنه الجليل وتهيباً من جلاله وعزه وسلطانه[1].

اللَّهـمَّ؛ اجعلنـا مـتحققين بحقـائق الإيمـان، وأوصـلنا إلى درجـات العرفـان والإحسـان، بمنـك وكرمك ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله، آمين.

واعلم يا أخي: أن شأن نـور الإيمـان؛ أن يـرق القلب، ويُصَـفِّيه عـن كـدورات صـفات الـنفس وظلماتها، ويلين قسوته؛ فـيلين إلى ذكـر الله، ويجـد شوقاً إلى الله؛ وهذا حال أهل البـدايات، أمـا حـال أهل النهايـات؛ فالطمأنينـة والسـكون بالـذكر[2]؛ قلتُ: وهذا حال التمكين، وهو البقاء بعد الفناء.

---

(١) ينظر: ((روح البيان)): لإسماعيل حقي البُروسوي (ت١١٣٧هـ)، (٣/ ٣١٢).

(٢) المصدر نفسه: (٣/ ٣١٣).

فاعقد عرى الـتمكين دون تلـوّنٍ

وافقه فمـا دون تمكـين مُحـالا

قـال الله تعـالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[1].

ـ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بتوحيد الحق ـ جلَّ وعلا.

ـ﴿وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ أي: تسكن قلوبهم، وتستقر باليقين إليه، فتزول قلقها واضطرابها، وتحضرها أفراحها ولذاتها.

ـ ﴿أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾، قال مقاتل: بالقرآن، والسكون يكون باليقين[2]، لأن طمأنينة القلوب بذكر الله: أنها حين تعرف معاني القرآن وأحكامه تطمئن لها، فإنها تدل على الحق المبين، المؤيد

---

(١) سورة الرعد.

(٢) ((عالم التنـــزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي)): لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٠هـــ)، (٣/٣١٥).

بالأدلة والبراهين، وبذلك تطمئن القلوب، فإنها لا تطمئن إلا باليقين والعلم، وذلك في كتاب الله مضمون على أتم الوجوه وأكملها، وأما سواه من الكتب التي لا ترجع إليه فلا تطمئن بها[1].

ورد: اطلبوا الرقة في ثلاث: في الصلاة، والتلاوة، والذكر؛ فإن وجدتموها، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.

- ﴿تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ أي: حقيق بها، وحريٌّ أن لا تطمئن بشيء سوى ذكره، فإنه لا شيء ألذّ للقلوب ولا أشهى ولا أحلى من محبة خالقها، والأنس به ومعرفته، وعلى قدر معرفتها بالله ومحبتها له يكون ذكرها له ـ من تسبيح وتهليل وتكبير وغير ذلك[2].

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان = تفسير السعدي)): لعبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، (ص٤١٧).

(٢) المصدر نفسه: (٣٩٣).

واعلم: "أن ذكر العبد لله تعالى، في إضافة ذكر الله تعالى للعبد، كالغبار تحت الأمطار".

ولله در القائل:-

بذكرك تحيى مهجتي يا مُؤملي
وذكرك لي من قبل ذكري أكبر
مننت بطَول[1] لا أقوم بشكره
فأي أياديك[2] الجزيلة أشكر

قال يحيى بن معاذ: ((عفوه يستغرق الذنوب، فكيف رضوانه! ورضوانه يستغرق الآمال، فكيف حبّه! وحبّه يدهش العقول، فكيف وده! ووده ينسى ما دونه، فكيف لطفه!))[3]؛ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله، اللَّهمَّ؛ أجعلنا من أهلها، آمين.

---

(١) أي: فضل.

(٢) أي: نعمك.

(٣) ((إحياء علوم الدين)): لمحمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، (٤/٢٩٦).

"أي أخـــي": المؤمنــون يستأنســـون بـــالقرآن، وذكر الله الذي هو الاسم الأعظم؛ فقلوب العــوام؛ تطمئن بالتسبيح والثناء، وقلوب الخواص؛ بحقـائق الأسمــاء الحســنى، وقلــوب الأخــص؛ بمشــاهدة الله تعالى[1]. أي: "حضوراً بالفكر، وذكراً في القلــب"؛ قال الإمـام الكَيلانــي: رؤيتنــا لربِّنــا بعــين قلوبنـا، كرؤيتنا بعين رؤوسنا، ولكنَّ الرؤية ممنوعة.

قال قائلهم:-

إن كنت لَستَ معي فالذكر منك معي
قلبي يراك وإن غُيِّبْتَ عن بصري

وقال آخر:-

بكلِ العـينِ رأتْـكَ العـينُ عـيني
عيــونٌ نــاظراتٌ لكـلِّ عــيني

(١) ((تفسير روح البيان)): (٣٧٢/٤).

فـــلاَ عـــينٌ ولا نظـــر بعـــينِ
بصائرُ اختفتْ عنْ كـلِّ عـينِ

وقال آخر: ((على بعدك لا يصبر من عادته القرب، ولا يقوى على حجبك من تيمه الحب، فإن لم تبصرك العين فقد يبصرك القلب)).

قال يحيى بن معاذ: ((المعرفة قرب القلب إلى القريب، ومراقبة الروح للحبيب ﷻ، والانفراد عن الكل بالملك المجيب))[1]؛ وورد: أن الله تعالى، قال: «إذا كان الغالب على قلب عبدي الاشتغال والأنس بي، رفعت الحجاب بيني وبينه في الباطن، حتى كأنَّه ينظر إليَّ».

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص٦).

اللَّهمَّ؛ وفقنا واحشرنا في زمرة العالمين بك، والعاملين لك، والراجين لثوابك، الخائفين من عقابك، المكرمين بلقائك. آمين.

"أي أخي": كيف تكون الطمأنينة والوجل، في قوله تعالى: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وقوله: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم﴾ في حالة واحدة؟ قال العلاّمة علاء الدين علي البغدادي: إنما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب، والطمأنينة إنما تكون عند الوعد والثواب؛ فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه، وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه عز وجل[1].

قلتُ: وهذا حال العبد السائر إلى الله تعالى، يكون بين الخوف وجلاً، وبين الرجاء طمأنينةً، أو

(١) ((تفسير الخازن)): لعلاء الدين علي بن محمد البغدادي (ت ٧٢٥هـ)، (٣/٤٤٩).

بين الخضوع والخشوع، والحضور والذكر، والافتقار والشوق ـ إخلاصاً وصفاءً وتجرداً وفي حياته كلـها، في ساعات الليل والنهار؛ وهذا حال العارفين بالله.

قال يحيى بن معاذ: ((الذكر أكبر من الجنة، لأن الذكر نصيب الله، والجنة نصيب العبد، وفي الـذكر رضاء الله، وفي الجنة رضاء العبيد))[1].

وعن أمير المؤمنين علـي بـن أبـي طالـب رضي الله عنه وكـــرم الله وجهـــه، قـــال:((إن الله تعـــالى يتجلـــى للذاكرين عند "الذكر وتلاوة القرآن"، ولا يرونـه لأنه أعز من أن يُرى، وأظهر من أن يخفى، فتفـردوا بالله سبحانه، واستأنسوا بذكره، ومـا نزلـت بأحـد نازلـــة إلا وفي كتـــاب الله لهـــا دليـــل مـــن الهـــدى والبيان))[2].

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص٦٨).

(٢) المصدر نفسه: (ص٦٨).

وقال أبـو عبـد الله النسـاج: ((إن لله تعـالى في الدنيا جنة، من دخلها كان آمناً، فطوبى لهم وحسن مئآب، قيل: وما هي؟، قال: الأنس بذكره))، قال الله تعالى في بعض كتبـه: «أوليـائي وأحبـابي، تنعمـوا بذكري، واستأنسوا بي، فإني نعـم الـرب لكـم في الدنيا والآخرة»[١]. قلت:-

جناتُ ذِكـركَ في الفـؤادِ معـالِمٌ
ومعاني حُبـكَ للجِنـانِ حَنـانُ
ووِدادُ حُبِّـكَ للجِنـانِ مَحاسِـنٌ
تبقـى وحُبُّـكَ للنعـيمِ جِنـانُ

قال أكمل الرسل ﷺ: «ألا أخبركم عـن أقـوام ليسـوا بأنبيـاء ولا شـهداء يغـبطهم يـوم القيامـة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله ﷻ، علـى منـابر

(١) ((المصدر السابق)): (ص٦٨).

من نور يكونون عليها؟ قالوا: من هم؟ قال: الـذين يحببون عباد الله إلى الله، ويحببون الله إلى عباده، وهم يمشون على الأرض نصحاء، قال: قلنـا: يحببـون الله إلى عباد الله فكيف يحببـون عبـاد الله إلى الله؟ قـال: يأمرونهم بحب الله، وينهونهم، يعني: عما كـره الله، فإذا أطاعوهم أحبهم الله»[1].

وقال ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ وَآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا» رواه الطبراني[2].

وقال سيدنا علي عليه السلام والرضوان: ((إن لله تعالى في أرضه آنية ـ وهـي القلـوب، فأحبهـا إليـه تعـالى؛ أرقهـا، وأصـفاها، وأصـلبها؛ ثـم فسـره فقـال: أصـلبها في

---

(١) ((شعب الإيمان)): لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (٣٦٧/١).

(٢) ((مسند الشاميين)): لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطـير اللخمـي الشـامي الطـبراني (ت٣٦٠هـ)، (١٩/٢).

الـــدين، وأصـــفاها في الـــيقين، وأرقهـــا علـــى الإخوان))[1]، قـال العلاّمـة المنـاوي، قولـه ـ عليـه السّلام: «إن لله تعالى آنية»، آنية: جمع إناء، وهو وعاء الشيء «من أهل الأرض» من الناس أو مـن الجِنـة والناس أو أعم «وآنية ربكم» أي في أرضه «قلـوب عباده الصالحين» أي القائمين بما عليهم من حقـوق الحق والخلق؛ بمعنـى أن نـور معرفتـه تمـلأ قلـوبهم حتى تفيض على الجوارح «فأحبها إليه» أي أكثرهـا حباً عنده «ألينها وأرقها»، فـإن القلـب إذا لان ورق وانجلى صار كالمرآة الصـقيلة، فـإذا أشـرقت عليـه أنوار الملكوت أضاء الصدر وامـتلأ مـن شـعاعها؛ فأبصرت عين الفؤاد باطن أمر الله في خلقه، فيؤدّيه ذلك إلى ملاحظة نور الله تعالى، فإذا لاحظ، فـذلك

(١) ((إحياء علوم الدين)): (٣/١٠).

قلب استكمل الزينة والبهاء بما رزق من الصفاء، فصار محل نظر الله من بين خلقه، فكلما نظر إلى قلبه زاده به فرحاً، وله حباً وعزاً، واكتنفه بالرحمة، وأراحه من الزحمة، وملأه من أنوار العلوم[1].

وقال الحكيم الترمذي: فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه، وإنما يصلح: إذا سكنت النفس بشهواتها، والهوى بجنوده، واطمأن القلب أميراً على الجوارح نافذاً سلطانه؛ فعندها يحظى العبد من الله الحنان، فإذا تحنن عليه وجد القلب ريح الرأفة؛ فيزداد طمأنينة إلى ربه، واهتاجت آماله، فيأخذ في السير إليه، فعنده تظهر الكنوز، وإذا استغنى القلب بالكنوز، وصل العبد إلى زينة

---

(١) ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)): لعبد الرؤوف، محمد علي بن زين العابدين الحدادي المناوي (ت١٠٣١هـ)، (٢/ ٦٣٨).

الأعمال، وإنفاق الكنوز لمحاسن الأخلاق، ومحمود الفعال، فعند ذلك ينظر الله إلى قلبه وإلى أعماله[1].

"أي أخي": اعلم أن قلوب أهل المعرفة خزائن الله في أرضه، يضع فيها ودائع سره، ولطائف حكمته، وحقائق محبته، وأنوار علمه، وآيات معرفته، التي لا يطلع عليها ملَك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا أحد دون الله بغير إذنه سبحانه، فينبغي أن يكون العارف عالماً بصلاحه وفساده، مستقيماً على معاملته، عارفاً بربحه وخسرانه، حافظاً له من مكايدة عدوه، مستعيناً بالله في ذلك كله.

روي أن موسى عليه السلام: مر بقوم من بني إسرائيل قد لبسوا المسوح، وقد جعلوا التراب على

(١) ((نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ)): لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي: (ت٣٦٠هـ)، (٤/١٠٠).

رؤوسهم، ودموعهم منحدرة على خدودهم، فبكى عليهم رحمة لهم، وقال: ((إلهي أما ترحم عبادك، أما ترى حالهم))، فأوحى الله تعالى إليه: «يا موسى انظر هل نفدت خزائني، أوَ لستُ بأرحم الراحمين، كلا ولكن أعلمهم بأني بذات الصدور خبير، يدعونني بقلوب خالية عني، مائلة إلى الدنيا»[1].

قال بعض الفضلاء: أصفاها لله عند المراقبة، وأصلبها في دين الله عند المخاطبة، وأرقها على الإخوان عند الموافقة.

وورد: أن الله تعالى قال: «من يذكرني ولا ينساني حركت قلبه لمحبتي، حتى إذا تكلم لي، وإذا سكتَ سكت لي».

---

(١) انظر: ((حالة أهل الحقيقة مع الله))، (ص١٦٥ ــ ١٦٦).

اللَّهمَّ؛ وفقنا للحضور معك في المراقبة، ووفقنا لدينك في المتابعة، واملأ قلوبنا ذكراً وأنساً في المخاطبة، ووفقنا لخدمة الأمة والأحباب رقةً عند الموافقة.

ـ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ أي: إذا تليت عليهم آياته القرآنية المنزلة على عبده وحبيبه محمّدٍ ﷺ ازداد إيمانهم، وكمل يقينهم لتظاهر الأدلة وتمامها، نعم المؤمن كلما كثرت الأدلة وتعاضدت الآيات والحجج ازداد قوةً في الإيمان، ورسوخاً في العقيدة، ونشاطاً في العمل، لذا قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴿٢٦٠﴾﴾[1]"[2]، وذلك أنه بتوارد الأدلة اليقينية مما يزداد به الإيمان، ويكمل به الإيقان، ويسعى في نيله أولي العرفان.

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((التفسير الواضح)): لمحمد محمود حجازي (٩/٥٩).

قال أكمل الرسل ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، قال أحد الكبار: هذا الحديث الشريف، يفيد أن الخيرية قد صحت لمن تعلم القرآن وعلمه، لما في القرآن العظيم من بالغ الحكم، وغامض السر، وخطير الشأن، وهو حبله الأعظم، به يهتدي المهتدون، ويصل الواصلون، وهو خلقُ رسول الله ﷺ، وباب الله تعالى، والمعجزة الدائمة، والنور الذي لا ينحجب، وعنه تأخذ أرواح العارفين؛ أسرار المعرفة، وما المعرفة التي لم ترجع إليه، ما هي إلا زور وضلال، ومتى تحقق العبد بالعلم بالقرآن العظيم، فقد صار عارفاً؛

(١) ((صحيح البخاري)): لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت٢٥٦هـ) كتاب فضائل القرآن ــ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٥٠٢٧، ((سنن أبي داود)): لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ) كتاب الصلاة ــ باب في ثواب قراءة القرآن، رقم: ١٤٥٢، ((سنن الترمذي)): كتاب فضائل القرآن ــ باب ما جاء في تعليم القرآن، رقم: ٢٩٠٧.

وانكشفت له الأسرار الربانية الملكيـة والملكوتيـة، ومتى صار عارفاً حنَّ وأنَّ، وطلب زيادة العلم بالله من كل طريق ومن كل فنٍّ، وكل الطرق والفنـون في القـرآن العظـيم، والعـارفون هـم الراسـخون بالعلم يقولون آمنا به، وإليه منتهى سـير هممهـم، وعنه يصدرون، وبه يهيمون، ومنه يأخذون، ولذلك يقال فيهم: "ندماء الحق"، وبهذا السر يفرقون بين الباطل والحق[1].

وروى الدارمي والحاكم والطبراني عـن عبـد الله بـن مسـعود ﷺ عـن الـنَّبيِّ ﷺ قـال: «إِنَّ هَـذَا الْقُـرْآنَ مَأْدُبَـةُ[2] اللَّـهِ ، فَتَعَلَّمُـوا مِـنْ مَأْدُبَتِـهِ مَـا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص١٤٥).

(٢) المأدبة: الطعام يدعى إليه الناس، يقصد منافع القرآن وفوائده العظيمة.

اتَّبَعَهُ، لا يَزِيغُ[1] فَيَسْتَعْتِبُ[2]، وَلا يَعْـوَجُّ[3] فَيُقَـوَّمُ، وَلا تَنْقَضِـي عَجَائِبُـهُ، وَلا يَخْلَـقُ عَـنْ كَثْـرَةِ الـرَّدِّ، فَاتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ عَلَى تِلاوَتِـهِ، بِكُـلِّ حَـرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ الم وَلَكِنْ بِأَلِفٍ وَلامٍ وَمِيمٍ»[4].

وروى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَـعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ أَنَّ رَجُلاً جَاءَهُ فَقَالَ: أَوْصِنِي، فَقَالَ: سَأَلْتَ عَمَّا سَـأَلْتُ عَنْهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَبْلِكَ: «أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ فَإِنَّـهُ رَهْبَانِيَّـةُ

(١) الزيغ: البعد عن الحق ، والميل عن الاستقامة.

(٢) يستعتب: يتوب ويطلب رضا الله ﷻ ومغفرته.

(٣) الاعوجاج: الميل والانحراف والزيغ.

(٤) ((سنن الدارمي)): لعبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي (ت٢٥٥هـ) كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل من قرأ القرآن، رقم: ٣١٨١، ((المستدرك على الصحيحين)): لمحمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري الحاكم المعروف بابن البيع (ت٤٠٥هـ)، (١/٧٤١)، رقم: ٢٠٤٠، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ((المعجم الكبير)): للطبراني، (٩/١٣٠)، رقم: ٨٦٤٦.

الإِسْلامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ اللَّـهِ، وَتِـلاوَةِ الْقُـرْآنِ؛ فَإِنَّـهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ، وَذِكْرُكَ فِي الأَرْضِ»[1].

وروى ابن أبي شيبة عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَبْشِرُوا أَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ سَبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وَطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا»[2]، "فأين من يمد لله يداً؟"، يا سادة.

وأهل القرآن هم أولياء الله وأحبابه؛ فعن أَنَسِ بن مَالِكٍ قال: قال رسول اللَّـهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّـهِ أَهْلِـينَ

---

(١) ((مسند أحمد)): (١٠/٢٥٨)، رقم: ١١٧١٣، قال: حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، والحديث أورده الهيثمي: (٤/٢١٥)، وعزاه لأحمد وأبي يعلى، وقال: رجال أحمد ثقات.

(٢) ((مصنف ابن أبي شيبة)): لعبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي المعروف بـ"ابن أبي شيبة" (ت ٢٣٥هـ)، (٦/١٢٥)، رقم: ٣٠٠٠٦.

من الناس» قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، من هُمْ؟ قال: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»[1].

قال العلاّمة محمود الآلوسي: إن المؤمنين الكاملين هم الذين إذا ذكر الله من غير أن يذكر هناك ما يوجب الفزع من صفاته وأفعاله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته المتضمنة ذلك زادتهم وجلاً على وجل[2].

قال الفاضل التفتازاني، وتبعه المولى أبو السعود في "تفسيره": إن نفس التصديق مما يقبل الزيادة والنقصان للفرق الظاهر بين يقين الأنبياء، وأرباب المكاشفات، وبين يقين الأمة؛ ولهذا قال أمير

(١) ((مسند أحمد)): (٤٠٩/١٠)، رقم: ١٢٢١٩، ((سنن ابن ماجه)): لمحمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٥هـ) المقدمة ـ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٢١٥، ((سنن الدارمي)): كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل من قرأ القرآن، رقم: ٣٣٢٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الحاكم (٥٥٦/١)، ووافقه الذهبي.

(٢) ((تفسير روح المعاني)): لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي: (ت١٢٧٠هـ)، (١٦٧/٩).

المؤمنين عليٌّ رضي الله عنه: ((لـو كشـف الغطـاء مـا ازددت يقيناً)) وكذا بـين مـا قـام عليـه دليـل واحـد من التصديقات، وما قامت عليه أدلة كثيرة[1].

قال شيخنا وأستاذنا عبـد الله الهرشمـي ـ طيـب الله روحه وذكره وثراه:–

وليس من عاصم للفكر عن زلل

إن لم تكن حكمة القرآن مبناه[2]

قـال أبـو بكـر الواسـطي: ((والمعرفـة علـى وجهين: معرفة الإيقان، ومعرفـة الإيمـان؛ "فمعرفـة الإيمـان": شـهادة اللسـان بتوحيـد الملـك الـديان،

---

(١) ((تفسير روح البيان)): (٣/٣١٣).

(٢) ((ديوان نفحات الحياة)): البيت من قصيدة اسمها "مرابع الأنس" أنشـأ هـذه القصـيدة صاحب هذا الديوان؛ وهو شيخنا وأستاذنا العلامة عبد الله بن مصطفى "كمال الدين" قدس الله أرواحهما، أهداها لوالده وأستاذه وشيخه؛ وهو شيخنا وأستاذنا مولانا مصطفى كمـال الدين بن أبي بكر غياث الدين الهرشمي ــ قدس الله أسرارنا بسرهم السامي، آمين.

والإقــرار بصــدق مــا في القــرآن، "وأمــا معرفــة الإيقان": فهو دوام مشاهدة الفرد الديان بالجنان)).

وقــال الإمــام أحمـد الرفــاعي، في "حالـة أهـل الحقيقة": المعرفة كشجرة لها ثلاثة أغصــان؛ توحيـد وتجريد وتفريد؛ فالتوحيد بمعنى الإقرار، والتجريـد بمعنى الإخــلاص، والتفريـد بمعنـى الانقطـاع إليـه بالكلية في كل حال؛ وأول مدارج المعرفة التوحيـد؛ وهو قطع الأنداد؛ والتجريد وهو: قطـع الأسـباب، [أي: عـن الفـؤاد، واتخـاذ السـبب ظـاهراً شـرعيا، والتعلق بالمسبب هو الله تعالى].

والتفريد وهو بمعنى الاتصال بلا سير ولا عين ولا دون؛ ولها خمس طرائق: أولها: الخشـية في السـر والعلانية؛ والثانية: الانقياد له في العبودية؛ والثالثة: الانقطاع إليـه بالكليـة؛ والرابعـة: الإخــلاص لـه

بالقول والفعل والنية؛ والخامسة: المراقبة في كل خطرة ولحظة[1].

وقال ذو النون المصري: هي على ثلاثة أوجه؛ أولها: معرفة التوحيد، وهي: لعامة المؤمنين. والثاني: معرفة الحجة والبيان، وهي: للعلماء والبلغاء والحكماء. والثالث: معرفة صفات الفردانية، وهي: لأهل ولاية الله تعالى وأصفيائه، الذين أظهر الله لهم ما لم يظهر لمن دونهم، وأعطاهم من الكرامات ما لم يجز أن يوصف ذلك بين يدي من لا يكون أهلاً له، خصهم الله من بين الخلائق، واصطفاهم لنفسه واختارهم له، فحياتهم رحمة، ومماتهم غبطة، طوبى لهم[2]. قال قائلهم:-

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص٢٣).

(٢) المصدر نفسه: (ص٨).

طَلَبُ الحبيبِ من الحبيبِ رضاهُ

وَمُنى الحبيب من الحبيب لقاه

أبداً يلاحظُه بعَيني قلبهِ

والقلبُ يعرفُ ربَّه ويراه

يرضَى الحبيبُ من الحبيبِ بقربه

دونَ العبادِ، فما يريدُ سواهُ

وأقولُ:-

يا روح روحي من لي سواكا

شغف الفؤاد بسر هواكا

يا طب قلبي رضا بقضاكا

أنت حبي أملي لقياكا

وقال آخر:-

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب

وأنت عندي كروحي بل أنت منها أحب

حسبي من الحب أني لما تُحب أحب

اللَّهمَّ؛ إني أسألك حبك، وحب حبيبك، وحب من يحبك، وحب عمل يقربني إلى حبك. آمين ـ يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.

ـ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ الذين على ربهم وحده يتوكلون، وعليه وحده يعتمدون، وإليه يلجئون، ويفوضون أمورهم كلها إلى مالكهم ومدبرهم خاصة، لا إلى أحد سواه، ولا يخشون ولا يرجون إلا إياه ـ تبارك وتعالى ربنا وتقدس.

قال أبو الدرداء ﷺ: ((ذروة الإيمان: الصبر للحكم، والرضى بالقدر، والإخلاص في التوكل، والاستسلام للرب ﷻ))[1].

(١) ((حلية الأولياء)): لأبي نُعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، (٢١٦/١).

وفي الخبر: إن أول ما كتب الله ـ سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ: «لا إله إلا الله محمد رسول الله، من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر لنعمائي، كتبته صديقاً، وبعثته يوم القيامة مع الصديقين، ومن لم يرض بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي، فليختر رباً سوائي»[1].

وقال أبو سعيد الخراز: ((التوكل: هو التصديق لله عز وجل، والاعتماد عليه، والسكون إليه والطمأنينة إليه في كل ما ضمن، وإخراج الهم من القلب في أمور الدنيا والرزق وكل أمر تكفل الله به))[2].

فالتوكل على الله تفويض الأمر إليه، والاعتماد في جميع الأحوال عليه، والتبرؤ من الحول والقوة له،

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص١٠٧).

(٢) ((الطريق إلى الله)): لأبي سعيد الخراز (ت٢٧٧هـ)، (ص٥٦).

وهو مرتبة قلبية، ولا تعارض بين التوكل على الله تعالى وبين العمل واتخاذ الأسباب، إذ التوكل محله القلب، والأسباب محلها البدن. وكيف يترك المؤمن العمل بعد أن أمر الله تعالى به في كثير من الآيات الكريمة، ودعا إليه الرسول ﷺ في أحاديث جمة[1].

قال الإمام الغزالي: ((قد يظن الجهال أن شرط التوكل: ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للمهلكات؛ وذلك خطأ لأن ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على التوكل وندب إليه فكيف ينال ذلك بحضوره))[2]؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ

(١) انظر: ((حقائق عن التصوف)): لعبد القادر عيسى (ت١٣٣٨هـ)، (ص٢٥٦).

(٢) ((كتاب الأربعين في أصول الدين)): لمحمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ)، (ص٢٤٦).

يَدِهِ»، رواه البخاري[1]. وفيه دلالة على أن خير طعام يأكله المرء ما كان من كسب يده، من أجل ما جاء في عمل السبب من الثواب في كسب الحلال؛ كما ورد: «من بات تعباناً من طلب الحلال، بات مغفوراً له، وأصبح والله راضٍ عنه»، كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[2]، أي: تشغلهم بما يكونون فيه من التكسُّب، يكونون في عمل السبب بالأبدان، والقلوب متعلقة بالذي وصفهم به؛ كما جاء أن سبب نزولها: كان خياط وحداد؛ فكان الخياط إذا سمع الأذان، وقد أخرج الإبرة من الثوب لم يردها

---

(١) «صحيح البخاري»: كتاب البيوع ــ باب كسب الرجل وعمله بيده، رقم: ٢٠٧٢.

(٢) سورة النور.

حتى يقوم ويؤدي ما عليه من الوجوب الشرعي، وإن كان أدخلها في الثوب لم يخرجها حتى يقوم أيضاً لما عليه من الواجب؛ وكذلك الحداد لو كان رفع المطرقة لم يكن يعيدها إلى ضرب الحديدة، بل كان يرجعها من يده، ولو كان ضربها لم يكن يرفعها حتى يقوم لقضاء ما عليه من وظائف الآخرة.

فإن اشتغلت الظواهر بالتكسب، فقلوبهم مشتغلة بذكره ، بالسر والبواطن. فتأمل.

-﴿وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ في أوقاتها وخشوعها. ﴿وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ يؤدونها في حولها خالصة لوجه الله ﷿.

-﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ هو يوم القيامة ﴿تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي تضطرب من شدة هوله، وإزعاجه للقلوب والأبدان، ولذلك خافوا ذلك

اليوم، وسهل عليهم العمل، وترك ما يشغل عنه، وإن هؤلاء الرجال وإن بالغوا في ذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته؛ فتتقلب القلوب بين الخوف والرجاء. ﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟﴾ أي: أعمالهم الحسنة الصالحة، لأنها أحسن ما عملوا، والثواب لا يكون إلا على العمل الحسن ظاهراً وباطناً ـ بتوفيق الله تعالى ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ أي: زيادة كثيرة من الجزاء "بفضله المقابل لأعمالهم" بما لا يخطر على بالهم، ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ في العطية والمنَّة، بتوفيقه ـ جلَّ وعلا، ظاهراً في الرزق، وباطناً في الأحوال لله تعالى.

قلتُ: التوكل: هو الثقة بالله ﷻ، وهو لأهـل "الإيمان والمحبة"، فأما الإيمان: فإنه يؤمن بأن له ربـاً

عظيماً قادراً بيده الأمر، وهو على كل شيء قدير؛ وأما المحبة: فهو متعلق بالله مستغنٍ عما سواه، لا يشغله شاغل عن ذاته الأقدس، قاطع الأسباب عن قلبه، لحبه وثقة بحبيبه، آخذاً بالأسباب الظاهرة لأمر حبيبه فيه، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ ﴿٧١﴾﴾[1]، وقال الحبيب المصطفى ﷺ، لصاحب الناقة عندما أهملها: «اعقلها [أو قيدها] وتوكل»[2]، لأن الدين "عمل وتوكل"؛ كما قال الله تعالى: ﴿فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾[3]، وورد: أن سيدنا رسول الله ﷺ خرج ليلاً، وجاء

(١) سورة النساء.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٧، قال أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت ٨٠٦هـ) في ((تخريج أحاديث الإحياء)) (١٦٤٠/١): رواه الترمذي من حديث أنس، قال يحيى القطان: منكر، ورواه ابن خزيمة في التوكل، والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد بلفظ: "قيدها".

(٣) سورة النمل.

سيدنا عليّ رضي الله عنه فقال: «ما أخرجك؟»، فقـال: الجـوع، وأن الحسـن والحسـين يبكيـان مـن الجـوع، فقـال: «الذي أخرجـك أخـرجني»، ثـم أتـاهم فـلان مـن الصحابة يشكو ما كانوا هم يشـكونه مـن الجـوع، إلى أن قـال عليه السلام لعلـي رضي الله عنه: «اذهـب إلى النخلـة الفلانية، [وكان في غير زمان التمر] وقل لها: الـنَّبيُّ يقول لك: أن تطعمـي رطبـاً» فمـن حينهـا فلعـت النخلة ما أمرت به، وجاء علـيّ رضي الله عنه، بتمـر؛ فـأكلوا جميعاً، وحمل كلٌّ لعياله ما كان لهم فيه كفاية وزيادة.

قـال أبـو جمـرة المـالكي: إن الأسـباب لا تـأثير لهـا بذواتها، إلا بحسب ما شاءت القدرة، وإنه لا بد من الأسـباب، إذ أنهـا أثـر الحكمـة، وتركهـا مخالفـة وعناد[1].

---

(١) ((بهجة النفوس)): لمحمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت٦٩٩هـ)، (١/١١٥).

قال سهل بن عبد الله: ((من طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان، ومن طعن في التكسب، فقد طعن في السُّنَّة))[1].

وقال حاتم الأصم: ((من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء فقد يتقلب في رضاء الله؛ أولها: الثقة بالله، ثم التوكل، ثم الإخلاص، ثم المعرفة ـ والأشياء كلها تتم بالمعرفة))[2].

"أي عزيزي": صدق التوكل على الله يوجب ترك المبالاة بغير الله، كيف لا... والمتفرِّدُ بالقدرة على النفع والضرر، والخير والشر ـ هو الله ـ جلَّ جلالُه، وعمَّ نوالُهُ، واتخاذ الأسباب، أي: العمل من سنن النَّبيِّ الكريم ﷺ.

---

(١) ((حلية الأولياء)): (١٩٥/١٠).

(٢) المصدر نفسه: (٧٥/٨).

كما قال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي، أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا، أَلا، فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»[1].

ومما ورد في ذلك قوله ـ عليه الصّلاة والسّلام، لمعاذ: «كيف أصبحت؟»، فقال: أصبحت لا أخطو خطوة، وأظن أني أخطو أخرى، وكأني أنظر إلى القيامة قد قامت، وكل أمة تدعى إلى كتابها، وأهل الجنة في الجنة يتنعمون، وأهل النار في النار يعذبون؛ فقال له عليه السلام: «هنيئاً لك العلم».

(١) ((مسند الشهاب)): لمحمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت٤٥٤هـ)، (١٣٥/٢)، رقم: ١١٥١، قال محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) في ((تخريج أحاديث مشكلة الفقر، وكيف عالجها الإسلام))، (ص١٩): صحيح أخرجه أبو عبيد في "غريب الحديث" والقضاعي في "مسند الشهاب" بسند صحيح، وأخرجه الحاكم، وورد بلفظ: «لا تستبطئوا الرزق، فإنه لن يموت العبد حتى يبلغه آخر رزق هو له فأجملوا في الطلب أخذ الحلال وترك الحرام»، أخرجه ابن حبان والحاكم وأبو عبد الرزاق وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ولهذا لم يبق لأهل الله زمان لأنفسهم، وإنما تنقطع أعمارهم أبداً في أنواع التعبد لربهم؛ لأنهم يخافون الفوت والموت؛ فيبادرون إلى الأعمال ويظنون أن ذلك هو آخر عملهم نظراً منهم إلى معنى هذا الحديث وغيره؛ ولأجل هذا إذا سمع غيرهم عن شيء من أنواع تعبدهم تعجب من ذلك كل الإعجاب، ويظن أن البشر لا يقدر على شيء من ذلك، ولو نظر المسكين إلى هذا المعنى الذي نظروا إليه، ووقعوا عليه لكان لديه من الأعمال مثل ما لديهم، لأن هذا معلوم؛ وهو أنه من خرج منه نَفَسٌ، وهو يظن أنه آخر أنفاسه فلا شك أنه لا يقع له غفلة مع ذلك ما دام عليه هذا الحال، وإنما وقعت الحيرة ووقع التدبير والاشتغال عما أخذوا هم بسبيله لأجل إطالة الأمل، والنظر

إلى المستقبل؛ فإذا كان المرء ينظر إلى هذا المعنى لـو كان بالقوة والتمكين ما عسى أن يكون؛ فلا بد وأن يشـتغل عـن ربـه بتـدبير أمـره؛ لأن إطالـة الأمـل يطلب ذلك قطعاً. وهم ﷺ بضد ذلك المعنى مهما لبس أحدهم ثوباً ظن أنه آخر لباسـه وبـه يـدخل إلى قبره، ومهما أكل أكلة ظن أنها هي آخر ما قسم له في دار الدنيا؛ ومن كان بهذا الحال فلا شك أنـه ولو أضعف الخلق لم تدخله غفلـة، ولا فـترة أبـدا؛ ولأجـل هـذا يقولـون في أمثـالهم: الوقـت سـيف، ومعناه: أنك لا تنظر إلا في وقتك وما يلزمـك فيـه فتقوم بما عليك فيـه فتقطـع الوقـت بالعمـل لـئلا يهجم عليك المـوت قبـل ذلـك، أو لـئلا يقطعـك الوقــت بالتســويف إن ســلمت مــن المــوت، لأن الوقت لا يخلف، لأنه إذا مضى يوم من عمـر ابـن

آدم فليس له خلف، ولا يقدر على رده؛ فإن مضى عنه وقد فعل فيه الخير فقد فاز به، وإن مضى عنه وهو عري عن ذلك فقد خسره، ولا يقدر على خلفه، والأحمق المسكين هو الذي يقطع الأوقات بعَلَّ وسوفَ وهو يظن أنه في فلاح، وهو في خسران؛ أليس ذلك اليوم الذي يريد أن يخلف فيه ما فرط ولو اجتمع مع هذا اليوم الآخر لكان أزكى وأنجح؛ وقد أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام في "الزبور": «يا داود، لا يشغلك لعل وسوف وإلى عن العمل»، وقد قال سيدنا علي بن أبي طالب عليه الرضوان، وهو آخر ما تكلم به: يا هذا لا تدخل هم غدك على يومك، فإنك بين أحد أمرين: إما أن تدركه، وإما أن لا تدركه؛ فإن أدركته فالله يأتيك فيه برزق جديد، وإن لم تدركه، فلا فائدة في أن تكابد

هم يومٍ لا تدركه. قيل لأوس رضي الله عنه: كيف أصبحت، قال: كيف يصبح من إذا أصبح لا يشتهي أن يمسي، وإذا أمسى لا يشتهي أن يصبح، وطال شوقه إلى "مني قلبه". وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه: كان تحت الجدار الذي أخبر الله بقوله: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا ٨٢﴾[1] لوح من ذهب مكتوب فيه: (بسم الله الرّحمن الرّحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، لا إله إلا الله محمد رسول الله). فمن أراد الفلاح والسبق فليتأمل فيما أشرنا إليه، وليعمل عليه، ثم يتكل بعد ذلك في نمائه وتمامه على ربه

---

(١) سورة الكهف.

ويضـرع إليـه؛ يصـل عنـد ذلـك إن شـاء الله إلى المرغوب[1]. اللَّهمَّ؛ أنت مقصودنا، ورضاك مطلوبنا.

اللَّهمَّ؛ نسألك التوفيق لمحابِّـك مـن الأعمـال، وصدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، آمين.

"أي أخي": ولما ذكر الحـق ـ جـلَّ وعـلا، أولاً من الأعمال الحسنة؛ أعمال القلوب ـ مـن الخشـية والوجل عنـد ملاحظـة عظمـة الله تعـالى وجلالـه والإخلاص والتوكل، عقـب بأفعـال الجـوارح مـن الصلاة والصـدقة، فقـال: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ على أكمل الوجوه، من فرائض، ونوافـل، بأعمالهـا الظاهرة، والباطنة؛ كحضور القلب فيها الـذي هـو روح الصـلاة ولبهـا؛ فالصـلاة لهـا ظـاهر، وهـي: حركـات الجسـم؛ مـن القيـام والقعـود والركـوع

---

(١) ((بهجة النفوس)): ٢/٢٠٥.

والسـجود والجلسـات، وروح الصـلاة الخشـوع والخضوع، والحمـد والتعظـيم لله ومحبتـه والأنـس بمناجاته، والتضرع والانكسار بين يديـه ﷻ؛ قـال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾[1]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «خَشَعَ لك سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّـي وَعَظْمِـي وَعَصَـبِي»[2]، وفي روايـة: «وَمَـا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَـدَمِي»[3]، أي: أن خشـوعه قـد حصـل بجميع جوارحه، ومن أعظمهـا القلـب الـذي هـو ملـك الجـوارح والأعضـاء، فـإذا خشـع خشـعت الجوارح والأعضاء تبعاً له ولخشوعه.

---

(١) سورة المؤمنون.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامـه، رقم: ١٨٠٩.

(٣) ((السنن الكبرى)): لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، (٢/٤٩)، رقم: ٢٣٤٤، ((مسند الشافعي)): لمحمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت ٢٠٤هـ)، (ص٣٨).

سُئل أبو سعيد الخراز: كيف الدخول في الصلاة؟، فقال: ((هو أن تقبل على الله تعالى كإقبالك عليه يوم القيامة، ووقوفك بين يدي الله تعالى، ليس بينك وبينه ترجمان، وهو مقبل عليك، وأنت تناجيه، وتعلم بين يدي من أنت واقف؟، فإنه: الملك العظيم!!!)) [1].

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: ((كان رسول الله ﷺ: يحدثنا ونحدثه، فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه))، وقال بعض أهل المعرفة في معنى قوله ﷺ: «جعلت قرة عيني في الصلاة» [2]، لم تكن الصلاة قرة عينه، ولكن إذا قام للصلاة رأى فيها ما تقر

---

(١) ((اللمع)): لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)، (ص١٤٣).

(٢) ((السنن الكبرى)): لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي (ت ٣٠٣هـ) كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم: ٨٣٦، ((مسند أحمد)): (١٩/٣٠٥) رقم: ١٢٢٩٣، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

عينه، لقوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه»[1].

وقال أبو النصر السراج: سمعت ابن سالم يقول: ((النية بالله، لله، ومن الله، والآفات التي تدخل في صلاة العبد بعد النية من العدو، وهو نصيب العدو، وإن كثر، لا يوازن بالنية التي هي بالله، ولله، ومن الله، وإن قلت))[2].

قلتُ: نفسك لا توافقها، ولا تنشغل بخواطرها في الصلاة وغيرها وإن عظمت؛ لقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ»[3]،

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩٣.

(٢) ((اللمع)): (ص١٤٣)

(٣) ((مسند احمد)): (٩/٤٢٤)، رقم: ١٠١٨٩، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

ولا ترضى عن خواطرها، وابقَ على ما أنت عليه في حضورك وخشوعك؛ فأنت في ترق فيها؛ لذا سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ عَنِ الْوَسْوَسَةِ، فقال: «تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ»[١].

"أي إخوتي": لا تؤخروا العرض لأنفسكم والمحاسبة لها، عجلوا بذلك على أنفسكم في الدنيا قبل الآخرة؛ كما ورد: «إنَّ الله عز وجل يستحي أن يُحاسِبَ المتَوِّرعين من عباده في الدُّنيا».

قال عقبة بن سلمة: ((ما من ساعة يكون العبد أقرب إلى الله من حين يخر ساجداً[٢]، وما من خصلة في العبد أحب إلى الله من الشوق إلى لقائه)).

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم: ٣٤٠.

(٢) لقوله ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» [أقرب، أي: قبولاً ورضا].

وفي الخبر: «نعم التحفة للمؤمن لقاء مولاه».

قال محمد بن يوسف: ((لو خيرت بين أن أعيش في الدنيا مائة سنة أعبد الله تعالى لا أعصيه طرفة عين، وبين أن أموت لاخترت الموت، قيل: ولم ذلك؟ قال: من شدة اشتياقي إليه))[1]، اللَّهمَّ؛ وسعة في العمر ـ رجاء القرب إليك، والخدمة للأمة المرحومة، اللَّهمَّ؛ آمين، اللَّهمَّ؛ آمين.

"أي أخي": اعلم أن لله تعالى عباداً قد ملئت قلوبهم بمحبة ربهم، ينتظرون الموت اشتياقاً إلى حبيبهم، ويكرهون طول المكث في هذه الدنيا، لا راحة لهم دون الخروج منها، وهم مغمومون بطول البقاء فيها، وشوقهم إلى الخروج أشد من شوق العطشان إلى الماء الزلال، فإذا قرب أجلهم أتاهم

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص١٤٧).

ملك الموت مع سبعين ألف ملك من الله بالتحية والسلام؛ كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾[1]، وكذلك يجيء الملك للمؤمن على أطيب ريح، وأحسن صورة؛ فيقول المؤمن له: مرحباً لأي أمر جئت؟ فيقول له: لقبض روحك، على أي حال تحب أن أقبض روحك، فيقول: إذا كنت في السجود، فيفعل ذلك ملك الموت، فيأتيه حافظاه ويقول أحدهما لصاحبه: كان لنا صاحباً وأخاً قد حان له الفراق، فيقولان له: جزاك الله خيراً، وغفر لك، فنعم الأخ كنت، لقد كنت أيسر مؤمن، ونعم ما قدمت لنفسك؛ ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾[2] بالروح والراحة،

---

(١) سورة النحل.

(٢) سورة الفجر.

وتقول روحه لجسده: جزاك الله عني خيراً، كنت تحب الخير وأهله، وتبغض الشر وأهله أستودعك الله.

ومرض أبو الدرداء ﷺ، فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً يـداويك؟، فقـال: ((الطبيــب أمرضــني، طـال شــوقي إلى ربــي، وإلى قــرت عــيني محمّــد ﷺ، وإلى إخواني الذين مضوا مـن قبلـي، وإنـي أخـاف أن أفرق عنهم)).

وبكــت الســيدة رابعــة العدويــة عنــد موتهــا، وضحكت من ساعتها، فقيل لهـا في ذلـك، فقالــت: ((أما بكائي فمن مفارقتي الذكر آناء ليلي ونهاري، وأما ضحكي فمـن ســروري بلقائــه، وماتــت مــن لحظتها)).

قلت: هذا هو التنعم بذكر الله تعالى، والأنس به وبلقائه؛ كما ورد: ((اللَّهمَّ؛ إذا قرت أعين أهل الدنيا من دنياهم، فقر عيني بك، وقر عيني بلذائذ أُنسك، والشوق إلى لقائك)) والله إن طيب النعم بالمنعم، وطيب الذكر بالحب، وطيب الجنة بالقدس، "أي سادة": قامت الحياة بالمحيي ـ جلَّ وعلا، فأيّ حياة دون الدين والحب والخدمة في سبيله تعالى.

- ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ النفقات الواجبة، كالزكوات والكفارات، والنفقة على الزوجات والأقارب، وما ملكت أيمانهم، والمستحبة ـ كالصدقة في جميع طرق الخير، التي قد تصبح واجبة تبعاً للظروف. فتأمل.

"أي أخي": ما تلبسه يبلى ويرمى، وما تأكله يطرح نتنا، وما تنفقه في سبيل الله يجعله لك الحق

من النار سترا، وإليه ـ جلَّ وعلا، معرجاً وقربا؛ فاربط قلبك بالله. واعرض عن غير الله. وسلم في جميع أحوالك لله. واجعل سلوكك في طريق الفقراء بالتواضع. واستقم بالخدمة على قدم الشريعة. واحفظ نيتك من دنس الوسواس. وامسك القلب عن الميل إلى الناس؛ قال أكمل الرسل ﷺ: «لا يَتَصَدَّقُ أَحَدٌ بِتَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ إلا أَخَذَهَا اللَّهُ بِيَمِينِهِ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ قَلُوصَهُ[1] حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ أَوْ أَعْظَمَ[2]»[3]، وقال ﷺ: «كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتى يُفْصَلَ بين الناس، أو قال يُحْكَمَ بين

(١) أي: الناقة الفتية ولا يطلق على الذكر.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ــ باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم: ١٠١٤.

(٣) انظر: ((البرهان المؤيد)): (ص٩٥).

النّاس»[1]، هذا لكونه ترك شيئاً قليلاً من ما تحبه نفسه لربه، فكيف إذا خرج عن نفسه بالكلية.

قال الإمام الكَيلاني: عليكم بالكرم والإيثار في طاعة الحق ﷻ، لا في معصيته، كل نعمة تصرف في المعصية هي معرّضة للزوال، تشاغلوا بالاكتساب مع ملازمة الطاعة إلى أن يأتيكم القرب منه، فتجتمع هومكم به ومعه لا بغيره ولا مع غيره؛ فحينئذٍ يصير أكلكم من طبق فضله وكرمه من حيث لا تدرون ولا تعقلون.

(١) ((صحيح ابن حبان)): لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي الدارمي البُستي (ت٣٥٤هـ)، (٨/١٠٤)، رقم: ٣٣١٠، ((صحيح ابن خزيمة)): لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت ٣١١هـ)، (٤/٩٤)، رقم: ٢٤٣١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ورجاله ثقات تقدموا، ورواه ابن المبارك في "الزهد" ٢٢٧، رقم: ٦٤٥، وابن حبان وابن خزيمة وصححه الحاكم (١/٤١٦)، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في "الحلية" (٨/١٨١)، ينظر: ((المسند)): (١٣/٣٤٣)، رقم: ١٧٢٦٦.

حكي عن عبد الله بن المبارك ـ رحمة الله تعالى عليه؛ أنه جاء إليه في بعض الأيام سائل يسأله شيئاً من الطعام، فلم يحضر عنده شيء سوى عشر بيضات، فأمر جاريته بأن تعطيه إياها فأعطته تسعة وخبأت واحدة، فلما كان وقت غروب الشمس جاء رجل ودق الباب، وقال: خذوا مني هذه السلة، فخرج عليه عبد الله ـ رضي الله تعالى عنه، وأخذها منه فرأى فيها بيضاً، فعده فإذا هو تسعون بيضة، فقال للجارية: أين البيضة الأخرى؟ كم أعطيتِ السائل؟ فقالت: أعطيته تسعة وتركت واحدة نفطر عليها، فقال لها: غرمتينا عشرة[1].

واعلم: أن الصلاة أعظم الأعمال القالبية، والصدقة خير العبادات المالية؛ روي: «يؤتى يوم

(١) ((الفتح الرباني)): للإمام عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هـ)، (ص١٥٥ ـ ١٥٦).

القيامة أربعة على باب الجنة بغير حساب؛ الحاج الذي حج البيت بغير إفساد؛ والشهيد الذي قتل في المعركة، والسخي الذي لم يلتمس بسخاوته رياء، والعالم الذي عمل بعلمه؛ فيتنازعون في دخول الجنة أولا؛ فيرسل الله جبريل ليحكم بينهم بالعدل، فيقول للشهيد: ما فعلت في الدنيا حتى تريد أن تدخل الجنة أولا، فيقول: قتلت في المعركة لرضا الله تعالى، فيقول: ممن سمعت أن من قتل في سبيل الله يدخل الجنة؟، فيقول: من العلماء، فيقول: احفظ الأدب ولا تتقدم على معلمك؛ ثم يسأل الحاج والسخي كذلك، ثم يقول لهما: احفظا الأدب ولا تتقدما على معلمكما، ثم يقول العالم: إلهي أنت تعلم اني ما حصلت العلم إلا بسخاوة السخي، وأنت لا تضيع أجر المحسنين، فيقول الله: صدق

العالم؛ يا رضوان افتح الباب وأدخل السخي أولا»[1].

وفي الحديث القدسي؛ قال ﷻ: «يا عيسى أتريد أن تطير على السماء مع الملائكة المقربين؛ كن في الشفقة كالشمس، وفي الستر كالليل، وفي التواضع كالأرض، وفي الحلم كالميت، وفي السخاوة كالنهر الجاري»[2].

-﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين اتصفوا بتلك الصفات ﴿هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ لأنهم جمعوا بين الإسلام والإيمان، وبين الأعمال الباطنة، والأعمال الظاهرة، بين العلم والعمل، بين أداء حقوق الله، وحقوق العباد.

وقدّم تعالى أعمال القلوب، لأنها أصل لأعمال الجوارح، وأفضل منها، وفيها دليل على أن الإيمان

(١) ((تفسير روح البيان)): (٣/٣١٤).

(٢) المصدر نفسه: (١/٣٠٩).

يزيد وينقص، فيزيد بفعل الطاعة، وينقص بضدها؛ وأنه ينبغي للعبد أن يتعاهد إيمانه وينميه، وإن أولى ما يحصل به ذلك تدبر كتاب الله تعالى، والتأمل لمعانيه[1].

أولئك الموصوفون بما ذكر من الأوصاف المشار إليهم، لكمالهم فيها هم المؤمنون حقاً، لأنهم حققوا إيمانهم، بأن ضموا إليه الأعمال الصالحة ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ منازل قرب ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي لديه تعالى، ويتفاوتون بحسب هممهم، وعنايات الحق بهم في المنازل، فمنهم من يُرقى إلى أعلاها، فيستكمل العدد وهي "مائتا ألف منزلة، وثمانية وأربعون ألف منزلة"، ومنهم من لا يستكمل، بل

(١) ((تفسير السَّعدي)): (ص٢٩٣).

يأخذ بحسب حاله، والأصل العناية الإلهية، والقسمة الحقيقية[1].

"أي أخي": اعلم: أن دخول الجنة برحمة الله تعالى، والدرجات العالية منها على قدر أعمالهم، وأحوالهم بالله عز وجل. فتنبه.

قال الإمام القشيري: على حسب ما أهَّلهم به من الرتب فبسابق قسمته لهم استوجبوها، ثم بصادق خدمتهم حين وفقهم لها بلغوها، ولهم مغفرة في المآل لمسيئهم، وفي الحال لمحسنهم والمغفرة والستر، والحق سبحانه يستر مثالب العاصين ولا يفضحهم لئلا يحجبوا عن مأمول إفضالهم، ويستر مناقب العارفين عليهم لئلا يعجبوا بأعمالهم وأحوالهم، وفرق بين ستر وبين ستر وشتان ما هما.

---

(١) ((تاج التفاسير)): لمحمد عثمان بن أبي بكر بن عبد الله الميرغني (ت ١٢٦٨هـ)، (١/١٧٤).

ـ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ وتجاوز لسيئاتهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

وهو الجِنان، والنظر للجمال الأقدس للرب العظيم ﷻ، وقال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٧٢﴾[1]، لأنه لا يطيب المسكن إلا برؤية المحبوب، وكلُّ مُحبٍ يطيب مسكنه برؤية محبوبه، لكنهم مختلفون في الهمم.

وإنِّي لأهوى الدار لا يستقرُّ لي
بها الودُّ إلا أنها من دياركا

"وأمارة أهل الرضوان وجدان طعمه"؛ فهم في روح الأنس، وروح الأنس لا يتقاصر عن راحة دار القدس بل هو أتمُّ وأعظم[2].

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ((لطائف الإشارات)): للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، (٣/٤٥-٤٦).

ـ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾، بذلك الرضا من الله، والقبول من جنابه الأقدس، هـو اللطـف الجسـيم لأربـاب الـولاء الواصـلين إلى مرتبـة الفنـاء فيـه سبحانه، والبقاء ببقائه لذلك وعدوا من عنده بما لا يمكن التعبير عن كنهه إلا كوشف به وشوهد[1].

اللَّهمَّ؛ إنا نعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يسمع، ونفس لا تشبع، ومن الجوع فإنه بئس الضجيع، ومن الخيانة فإنها بئس البطانة، ومن الكسل والبخل والجبن، ومـن الهـرم، وأن أرد إلى أرذل العمر، ومن فتنة الدجال، وعـذاب القـبر، ومن فتنة المحيا والممات ـ يـا لطيـف يـا واسـع يـا عليم، يا الله، آمينَ آمين.

---

(١) ((تفسير الجيلاني)): لمحيي الدين عبد القادر الجيلاني (ت٥٦١هــ)، (٢٢٢/٢).

اللَّهـمَّ؛ اشـغل جوارحنـا بطاعتـك، وقلوبنـا بمعرفتك، وبذكرك ومحبتك، واشغل طول حياتنا في ليلنا ونهارنا، وألحقنا بالذين تقدموا من الصـالحين وارزقنا ما رزقتهم، وكن لنا كما كنت لهم، آمين.

صلِّ على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه.

"أيها السادة": من المقرِبات إلى جلال الله الأقدس، قوله تعالى - في الحديث القدسي: «من عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ

الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ» رواه البخاري[1].

ـ قوله: «من عَادَى لي وَلِيًّا»، الولي: من وادَّ الله، وآمن به واتقاه. قال الإمام الشوكاني: ((الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية؛ المحبة والتقرب؛ قال ابن حجر في "فتح الباري": المراد بولي الله: العالم بالله، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.اهـ[2].

وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الرب سبحانه، ويدل على ذلك ما في الآيات القرآنية؛ كقوله سبحانه: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ــ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

(٢) ((قطر الولي على حديث الولي)): لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هــ)، (ص٢٢٣).

﴿تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾[1]، فأولياء الله هم خُلَّص عباده القائمون بطاعته، المخلصون له))[2].

قال الشيخ أبو العباس ابن تيمية: وأولياء الله على طبقتين: سابقون مقربون، وأبرار أصحاب يمين مقتصدون؛ ذكرهم الله سبحانه في عدة مواضع من كتابه في أول الواقعة، وآخرها، وفي سورة الإنسان، والمطففين، وفي سورة فاطر، فإنه سبحانه ذكر في الواقعة القيامة الكبرى في أولها، وذكر القيامة الصغرى[3] في آخرها[4].

---

(١) سورة يونس.

(٢) ((قطر الولي)): (ص٢١/٢٢).

(٣) القيامة الكبرى؛ هي: يوم القيامة، والقيامة الصغرى؛ هي: موت الإنسان في دار الدنيا.

(٤) ((أولياء الرحمن وأولياء الشيطان)): لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، (ص١٦).

قال محمد بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني[1]:

أحبابنـــا قـــد نـــذرت مقلـــتي

لا نلتقـــي بـــالنوم أو نلتقـــي

رفقـــاً بقلـــب مغـــرم واعطفـــوا

علـــى ســـقام الجســـد المفـــرق

كـــم تمطلـــوني بليـــالي اللقـــا

قـــد ذهـــب العمـــر ولم نلتـــق

قلتُ:-

تركـــت الهـــوى بهـــواكم ســـلما

إن الهـــوى بهـــواكم خجـــلا

ارحمـــوني في هـــواكم كلمـــا

مر علـــى قلـــبي هـــواي ارتحـــلا

(١) ((وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)): لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان (ت٦٨١هـ)، (٣٨٧/٤).

مُنـــيتي أقصـــى مـــرادي أنـــني

بـــت في ســـر هـــواكم ثَمِـــلا

قال تعالى في وصف المحِّبين المحبوبين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[1].

فوصف المحبوبين المحبين بأنهم أذلةٌ على المؤمنين، أعزةٌ على الكافرين، وأنهم يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم؛ فإن المحبة مستلزمة للجهاد.

ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يواليه، ويعادي من يعاديه، ويرض لرضاه، ويغضب لغضبه، ويأمر بما يأمر به،

---

(١) سورة المائدة.

وينهى عما نهى عنه، فهو موافق في ذلك؛ وهؤلاء هم الذين يرضى الرب لرضاهم، ويغضب لغضبهم؛ إذ هم إنما يرضون لرضاه، ويغضبون لما يغضب له؛ كما قال النَّبيُّ ﷺ، لأبي بكر في طائفة فيهم صهيب وبلال: «لعلك أغضبتهم؟ لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبت ربك!»، فقال لهم: ((يا إخوتي، هل أغضبتُكم؟، قالوا: لا. يغفرُ اللهُ لك يا أبا بكر[1]))[2].

قال أبو العلمين الشيخ أحمد الرفاعي: عليكم بالتقرب من أولياء الله. من والى وليَّ الله والى الله. ومن عادى وليَّ الله عادى الله. من أحب عدوك، هل تحبه يا أخي؟ لا والله. الله أغير من الخلق، يغار ويفعل وينتقم ويقهر. من أحب محبك هل تبغضه؟

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة ــ بَاب من فضائل سلمان وصهيب وبلال- رضي الله تعالى عنهم، رقم: ٢٥٠٤.

(٢) ((التحفة العراقية في الأعمال القلبية)): لأبي العباس ابن تيمية الحراني، (ص٦٤).

لا والله. الله أكرم من الخلق. يحسن ويجمل وينعم ويكرم؛ وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، نِعمُ الله تذكر. من قربتْهُ من العزيز فهو قريب. ومن أبعدته عنه فهو بعيد[1].

وقد رويَ؛ أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: «يا داود، أوليائي في قبابي، لا يعرفهم إلا أوليائي، فطوبى لأوليائي، وطوبى لأحبائي، يا داود؛ إني لا أنسى من ينساني، فكيف أنسى من يذكرني، يا داود؛ إني أجود على من يبخل عليَّ، فكيف أبخل على من يجود بيَ».

قال مفتي الحنابلة؛ حضرة الشيخ عبد القادر الكَيلاني في "الفتح": لا فلاح لك حتى تتبع الكتاب والسُّنَّة، اتبع الشيوخ العلماء بالكتاب

(١) ((البرهان المؤيد)): للإمام أحمد الرفاعي، (ص٤٢).

والسُّنة العاملين بهما، أو حسن الظن بهم، وتعلم منهم، وأحسن الأدب بين أيديهم، والعشرة معهم وقد أفلحت، إذا لم تتبع الكتاب والسُّنة ولا الشيوخ العارفين بهما فما تفلح أبدا، ما سمعت: من استغنى برأيه ضل، هذب نفسك بصحبة من هو أعلم منك، اشتغل بإصلاحها ثم انتقل إلى غيرها؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «ابْدَأْ بِنَفْسِك ثُمَّ بِمَنْ تَعُولُ»[1]، وقال: «لا صَدَقَةَ، وَذُو رَحِمٍ مُحْتَاجٌ[2]»[3].

---

(١) قال أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، في ((تلخيص الحبير))، (١٨٤/٢): في الصَّحِيحَيْن من حديث أبي هُرَيْرَةَ «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ ما كان عن ظَهْرِ غِنًى وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ من الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»، وَلِمُسْلِمٍ عن جَابِرٍ في قِصَّةِ الْمُدَبَّرِ في بَعْضِ الطُّرُقِ: «ابْدَأْ بِنَفْسِك فَتَصَدَّقْ عليها فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِك»، وَرَوَاهُ الشَّافِعِيُّ عن مُسْلِمٍ وَعَبْدُ الْمَجِيدِ عن ابن جُرَيْجٍ أخبرني أبو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سمع جَابِرًا يقول فذكر قِصَّةَ الْمُدَبَّرِ وقال فيه: «إذَا كان أحدكم فَقِيرًا فَلْيَبْدَأْ بِنَفْسِهِ فَإِنْ كان له فَضْلٌ فَلْيَبْدَأْ مع نَفْسِهِ لِمَنْ يَعُولُ».

(٢) قال علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي (ت٤٥٠هـ)، في ((الحاوي الكبير)) (٣٨٨/٣): فيه ثلاثة تأويلات: أحدهما: لا يقبل الله صدقة كاملة وذو رحم محتاج، والثاني: لا يقبل الله صدقة تطوع وذو رحم محتاج، والثالث: لا يقبل الله صدقة إما فرض وإما تطوع وذو رحم تجب نفقته محتاج فلا ينفق عليه.

(٣) ((الفتح الرباني)): للشيخ عبد القادر الكَيلاني، (ص١٢٩).

أقول: عليكم بالصحبة مع أهل الله - فهم العلماء العارفون بالله؛ ولكم فيها ثلاثة مغانم:-

الغنيمة الأولى: إذا جالستموهم أخذتم عنهم العلم والمحبة، فذهبتم إلى الله تعالى بحبه عليهم، فيُحبُكم الله لحبه عليهم؛ قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴿٥٤﴾﴾[1].

الغنيمة الثانية: إن الله تعالى يتجلى بعامة رحمته لعباده، وخاصة رحمته لأوليائه؛ قال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾[2].

فبصحبتكم معهم يتجلى عليكم بخاصة الرحمة بهم؛ كما قال أكمل الرسل

---

(١) سورة المائدة.

(٢) سورة آل عمران.

ﷺ: «أوليـــاءُ الله هـــم الـــذين يُـــذكر الله لرؤيتهم»[1].

الغنيمة الثالثة: يضاف من حالهم بالله إلى حالكم، وتُحشرون بمنزلتهم يوم القيامة بتوفيق الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾[2]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»[3].

---

(١) قال الألباني: حسن انظر: ((السلسلة الصحيحة))، (٢٠١/٤)، حديث رقم: ١٦٤٦، وفي ((مصنف ابن أبي شيبة))، (٧٩/٧): عن سعيد بن جبير رفعه: ((أن أوليـــاء الله لا خـــوف عليهم ولا هم يحزنون يذكر الله لرؤيتهم)).

(٢) سورة النساء.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب فضائل الصحابة ــ باب مناقب عمر بـــن الخطـــاب، رقـــم: ٣٦٨٨، ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب ــ باب المرء مع من أحب، رقم: ٢٦٣٩، قال الإمام النووي في "شرح صحيح مسلم" (١٨٦/١٦): فيه فضل حـــب الله ورسوله ﷺ والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات، ومن فضل محبة الله ورسوله امتثال أمرهما واجتناب نهيهما والتأدب بالآداب الشرعية، ولا يشترط في الانتفاع بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم إذ لو عمله لكان منهم ومثلهم وقد صرح في الحديث الذي بعد هذا بذلك فقال: «أحب قوما ولمّا يلحق بهم» قال أهل العربية: لما نفي للماضي المستمر فيدل على نفيه في الماضي وفي الحال بخلاف لم فإنها تدل على الماضي فقط، ثم إنه لا يلزم من كونه معهم أن تكون منـــزلته وجزاؤه مثلهم من كل وجه.

قالوا: علامة السعداء ثلاثة: التمسك بسنة النَّبِيِّ المختار، والصحبة مع الأولياء الأخيار، والحياء من الملك الديان.

ولست أرى السعادة جمع مالٍ
ولكن التقي هو السعيد

وأقولُ: شرافة السعداء ثلاثة: تربية البيت، ومنها الفطرة؛ قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴿٣٠﴾﴾[1]، وقال ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِهِ»[2].

"أي سادة": كلما كانت أخلاق البيت عالية، كانت تربية الأولاد والبنات راقية.

---

(١) سورة الروم.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الجنائز ــ باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم: ١٣٨٥، ((صحيح مسلم)): كتاب القدر ــ باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم: ٢٦٥٨.

وتربية الدين، وهي الصبْغة قال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[1]، سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «تَقْوَى اللهِ وَحُسنُ الخُلُقِ»[2]،

فإذا كان عملك بالدين الحنيف كاملاً وخالصاً، كان سلوكك وحالك عند الله مرضيا.

وتربية الصحبة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[3]، وقال ﷺ: «الْمَرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ»[4].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في حسن الخلق، رقم: ٢٠٠٤، وقال: ((حديث حسن صحيح)).

(٣) سورة التوبة.

(٤) ((مسند احمد)): (٣٠٧/٨)، رقم: ٨٣٩٨، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب ــ باب ما يؤمر أن يجالس، رقم: ٤٨٣٣، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد ــ باب ما جاء في أخذ المال في حقه، رقم: ٢٣٧٨، ((شعب الإيمان)): (٥٥/٧)، قال محمد بن عبد الله الخطيب=

إذا امتثلت بأهل الله أدباً، نلت من الله من حالهم قَدَرا.

إذاً: فِطْرَةٌ، وصِبْغَةٌ، وصُحْبَةٌ؛ وهذا حال الأخيار.

قال بعضهم: معدن المعرفة القلب؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾[1]. ومعدن المشاهدة الفؤاد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾[2]. ومعدن النور الصدر؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۝٢٢﴾[3]. وما ازداد

=التبريزي (ت ٧٣٧ هـ)، في ((مشكاة المصابيح))، (١٣٩٧/٣): رواه أحمد والترمذي وأبو داود والبيهقي في ((شعب الإيمان))، وقال النووي: إسناده صحيح قال الإمام خليل أحمد السهارنفوري (ت١٣٤٦هـ) في ((بذل المجهود في حل سنن أبي داود))، (٢٥٥/١٣): أي: يختار طريقه ومذهب خليله. فينبغي للمؤمن أن يخالل من يرضى دينه وخلقه، ولا يخالل من يكون في دينه وطريقته فساد.

(١) سورة الحج.

(٢) سورة النجم.

(٣) سورة الزمر.

حباً لله تعالى، إلا ازداد حباً لرسـوله ﷺ، ولأوليائـه. فتأمل. اللَّهمَّ؛ أدباً يا الله.

"أي أخي": الله يغار لأوليائه. ينتقم لهـم ممـن يؤذيهم. ويكرمهم بصون محبيهم. وعون مـن يلـوذ فيهم. هم أخص المخـاطبين بآيـة: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۝٣١﴾[1] علـيكم بمحبـتهم. والتقرب إليهم. تحصل لكـم بهـم البركـة. كونـوا معهم: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾[2]، وقـال تعـالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ۝١٩٦﴾[3]، من قام بحقِّ الله تولَّى أمـوره علـى وجه الكفاية، فلا يخرجه إلى أمثاله، ولا يـدع شـيئاً من أحواله إلا أجراه على ما يريده بحسن أفضـاله،

---

(١) سورة فصلت.

(٢) سورة المجادلة.

(٣) سورة الأعراف.

فإن لم يفعل ما يريده جعل العبد راضياً بما يفعل، ورَوْحُ الرضا على الأسرار أتمُّ من راحة العطاء على القلوب[1].

"أي أخي وعزيزي": لا يكون ولياً إلا إذا اتبع رسول الله ﷺ، واهتدى بهديه، واقتدى به في أقواله وأفعاله وأخلاقه الظاهرة والباطنة؛ قال أكمل الرسل ﷺ: «آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ فيقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لا أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»[2].

وقد علم أهل العلم بالله؛ أن الجنة التي هي باب الخير الإلهي الأبدي، لا تفتح إلا بفتح محمد رسول الله ﷺ لها، فهو الفاتح لكل خير دنيوي

---

(١) ((لطائف الإشارات)): (٢/٢٩٢).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب في قول النبي ﷺ: «أنا أول الناس يشفع في الجنة وأنا أكثر الأنبياء تبعا»، رقم: ١٩٧.

وأخـــروي، والعلـــم بشـــأنه هـــو ســـر العلـــم بـــالله تعـــالى، فمـــن أراد أن يُفـــتح لـــه أبـــواب الخـــير الـــدنيوي والأخـــروي فعليـــه أن يتعلـــق بأذيالـــه ﷺ، فـــإن في نفحاتهـــا علـــم المعرفـــة [فتـــدخل إلى الله تعـــالى مـــن بـــاب رســـول الله ﷺ فتصـــل إلى رضـــاء الله ﷻ]. اللَّهُــمَّ؛ صَــلِّ عَلَــى مُحَمَّــدٍ وَعَلَــى آلِ مُحَمَّـدٍ كَمَـا صَـلَّيْتَ عَلَـى إِبْـرَاهِيمَ وَآلِ إِبْـرَاهِيمَ، إِنَّــكَ حَمِيــدٌ مَجِيــدٌ، وَبَــارِكْ عَلَــى مُحَمَّــدٍ وَآلِ مُحَمَّـدٍ كَمَـا بَارَكْـتَ عَلَـى إِبْـرَاهِيمَ وَآلِ إِبْـرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قـالوا: فإيـاكم والكـذب علـى الله والخلـق.

فـإن الـدعوى كـذب علـى الله وخلقـه. كـل العبوديـة معرفـة مقـام العبديـة. الـدين عمـل بـالأوامر؛ واجتنـاب عـن النـواهي؛ وخضـوع

وانكسار في الأمرين. العمل بالأوامر يقرب إلى الله. والاجتناب عن النواهي خوف من الله. طلب القرب بلا أعمال، محال وأي محال. الخوف مع الجرأة فضيحة. اطلبوا الله بمتابعة رسوله ﷺ. إياكم وسلوك طريق الله بالنفس والهوى؛ فمن سلك الطريق بنفسه ضل في أول قدم[1].

"أي عزيزي": الولي الكبير: من تحقق بعلم الظاهر والباطن، لأن العلم علمان؛ علم على اللسان وهو حجة الله على العباد، وعلم القلب وهو العلم النافع، وهو "العلم الأعلى"؛ أو علم المعاملة، وعلم المكاشفة؛ "ولا يخشى العبد الله إلا به"؛ قال أكمل الرسل ﷺ: «أشدكم لله خشية

(١) انظر: ((البرهان المؤيد)): (ص٢٦).

أعلمكم بـالله»[1] قـال سـفيان الثـوري ـ رحمـه الله تعالى: ((العلماء ثلاثة: عالم بأمر الله غير عالم بـالله؛ فذلك العالم الفاجر الذي لا يصلح إلا للنار، وعالم بالله غير عـالم بـأمره؛ فـذلك نـاقص، "وعـالم بـالله وبأمره به، فهو العالم الكامل))[2].

واعلم أن العلم علمان: "ظاهر، وباطن"؛ وهو علـم الشـريعة الـذي يـدل ويـدعو إلى الأعمـال الظـاهرة والباطنـة؛ والأعمـال الظـاهرة كأعمـال الجوارح الظاهرة، وهي "العبادات والأحكام"؛ مثل

(١) في رواية البخاري كتاب النكاح ــ باب الترغيب في النكاح، رقم: ٥٠٦٣ بلفـظ: «أَمَـا والله إني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لهُ» وفي رواية أخرى له في كتاب الإيمان ــ باب قول النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله»، رقم: ٢٠، بلفظ: «إِنَّ أَتْقَاكُم وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أنا» .

(٢) وروى الدارمي في المقدمة ــ باب التوبيخ لمن يطلب العلم لغير الله، رقم: ٣٧٥ ، عن محمد بن يُوسُف عن سُفْيَانَ قال: ((كان يُقَالُ: الْعُلَمَاءُ ثَلاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ لـيس بِعَـالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ؛ فَذَاكَ الْعَالِمُ الْكَامِلُ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ليس بِعَالِمٍ بِاللَّهِ لا يَخْشَى اللَّهَ؛ فَذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ)).

الطهارة، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج وغير ذلك؛ "فهذه العبادات".

وأما الأحكام؛ فالحدود، والطلاق، والعتاق، والبيوع، والفرائض، والقصاص وغيرها، فهذا كله على الجوارح الظاهرة التي هي الأعضاء، وهي الجوارح؛ وأما "الأعمال الباطنة"؛ فكأعمال القلوب وهي "المقامات والأحوال[1]"؛ مثل التصديق، والإيمان، واليقين، والصدق، والإخلاص، والمعرفة، والتوكل، والمحبة، والرضا، والذكر، والشكر، والإنابة، والخشية، والتقوى، والمراقبة، والفكرة والاعتبار، والخوف، والرجاء، والصبر، والقناعة، والتسليم، والتفويض، والقرب، والشوق، والوجد، والوجل، والحزن، والندم، والحياء،

(١) قال تقي الدين ابن تيمية: "المقامات والأحوال": هي من أصول الإيمان، وقواعد الدين. انظر: ((التحفة العراقية)): (ص ٣٧).

والخجل، والتعظيم، والإجلال، والهيبة؛ ولكل عمل من هذه الأعمال الظاهرة والباطنة - "علم، وفقه، وبيان، وفهم، وحقيقة، ووجد"؛ ويدل على صحة كل عمل منها من الظاهر والباطن آيات من القرآن، وأخبار عن الرسول ﷺ علمه من علمه، وجهله من جهله؛ "ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر"؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۝٢٠﴾ [1]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۝٨٣﴾ [2] [3].

قال العز بن عبد السلام في "قواعد الأحكام":

وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة، بل الشريعة

---

(١) سورة لقمان.

(٢) سورة النساء.

(٣) انظر: ((اللمع)): (ص٢٥ــ٢٦).

طافحة بإصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات؛ فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجُلِّ الشرع، ومعرفة أحكام البواطن معرفة لدق الشريعة، ولا ينكر شيئاً منها إلا كافر أو فاجر، وقد يتشبه بالقوم من ليس منهم ولا يقاربهم في شيء من الصفات؛ وهم شر من قطاع الطريق، لأنهم يقطعون طرق الذاهبين إلى الله تعالى، وقد اعتمدوا على كلمات قبيحات يطلقونها على الله، ويسيئون الأدب مع الأنبياء والرسل، وأتباع الأنبياء من العلماء الأتقياء، وينهون من يصحبهم عن السماع من الفقهاء، لعلمهم بأن الفقهاء ينهون عن صحبتهم وعن سلوك طريقهم.

وقال: قَدَّمَ الأولياء والأصفياء مصالح الآخرة على مصالح هذه الدار لمعرفتهم بتفاوت المصلحتين، ودرءُوا مفاسد الآخرة بالتزام مفاسد بعض هذه الدار

لمعرفتهم بتفاوت الرتبتين؛ وأما أصفيك الأصفيك فإنهم عرفوا أن لذات المعارف والأحوال أشرف اللذات فقدموها على لذات الدارين؛ ولو عرف الناس كلهم من ذلك ما عرفوه لكانوا أمثالهم فنصبوا ليستريحوا واغتربوا ليقتربوا؛ فمنهم من تحضره المعارف بغير تكلف فينشأ عنها الأحوال اللائقة بها بغير تصنّع ولا تخلق، ومنهم من يستذكر المعارف لينشأ عنها أحوالها؛ وشتان ما بين الفريقين؛ وقد يتكلف المحروم استحضار المعارف فلا تحضره؛ فسبحان من عرف نفسه لهؤلاء من غير تعب ولا نصب ولا استدلال ولا وصب، بل جاد عليهم خالص وَبْلِهِ وصافي فضله فشغلهم به عما سواه، فلا هم لهم سواه ولا مؤنس لهم غيره ولا معتمد لهم إلا عليه، لعلمهم أنه لا ملجأ لهم إلا إليه، فرضوا بقضائه، وصبروا على بلائه، وشكروا لنعمائه؛ يتسع

عليهم ما يضيق على الناس، ويضيق عليهم ما يتسع للناس، أدبهم القرآن، معلمهم الرحمن، وجليسهم الديان، وسرابيلهم الإذعان، قد انقطعوا عن الإخوان وتغربوا عن الأوطان، بكاؤهم طويل وفرحهم قليل، يردون كل حين مورداً لم يتوهموه وينزلون منزلاً لم يفهموه ويشاهدون ما لم يعرفوه، لا يعرف منازلهم عارف، ولا يصف أحوالهم واصف، إلا من نازلها ولابسها، قد اتصفوا بأخلاق القرآن على حسب الإمكان، وتلك الأخلاق موجبة لرضا الرحمن وسكنى الجنان في الرغد والأمان مع النظر إلى الديان[1].

قال ذو النون المصري: ((للعارف نار ونور؛ نار الخشية، ونور المعرفة، فظاهره محترق بنار الخشية،

(١) ((قواعد الأحكام في مصالح الأنام)): لأبي محمد عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام السلمي (ت٦٦٠هـ)، (١/ ٧ ، ١٧٩).

وباطنه منوَّر بنور المعرفة، فالدنيا تبكي بعين الفناء عليه، والآخرة تضحك بِسَنِّ البقاء إليه، فكيف يقدر الشيطان أن يدنو منه ظاهراً وباطناً إلا كالبرق الخاطف، أو كالريح العاصف، فإن أتاه عارض من قِبَلِ العين، أحرقته نار العَبْرة، وإن أتاه من قبل النفس أحرقته نار الخدمة، وإن أتاه من قبل العقل، أحرقته نار الفكرة، وإن أتاه من قبل القلب، أحرقته نار الشوق والمحبة، وإن أتاه من قبل السّر، أحرقته نار القرب والمشاهدة، فتارةً يحترق قلبه بنار الخشية، وتارة يتشفى بنور المعرفة، فإذا امتزجت نار الخشية ونور المعرفة هاجت ريح اللطف من سرادقات الأنس والقُربة، فيظهر صفاء الحق للعبد،

فتراها تلاشت الأنانية، وبقيت الألوهية كما هو في الأزل))[1].

قال يحيى بن معاذ: العارف علامته أربعة:-

حبُّـهُ الجليـل، وتركـه الكـثير والقليـل، واتِّباعـه التنزيل، وخوفه من التحويـل.﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[2].

"أي أخـي": جـاء في كتـب الأنبيـاء تصـف الأصفياء؛ يقول الله تعالى: «عبدي بي وجدتني، وبي وقع بيني وبينك عقد المحبة، وبي صـرت مـن أهـل خدمتي، وبي تعرفني، وبي تذكرني وتثني عليَّ، وبي تتلذذ بذكري، وبي قصدتَ صحبتي، وبي قدرت أن تنظـر في الآخـرة إلى وجهـي، عبـدي نفسـك لـي،

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص٢٩).

(٢) سورة آل عمران.

وروحك لي، وقلبك لي، وكُلِّيتك لي؛ فأن أعطيتني الكل أعطيتك الكل، وكنت لك مع الكل»[1].

وأوحى الله تعالى إلى داود ـ عليه الصلاة والسلام: «يا داود، أخبر أهل الأرض بأني حبيبٌ لمن أحبني، وجليسٌ لمن جالسني، ومؤنسٌ لمن آنسَ بي، وصاحبٌ لمن صاحبني، ومطيعٌ لمن أطاعني، ومختارٌ لمن اختارني، وقل لعبادي هَلُمّوا إلى مصاحبتي ومؤانستي، وسارعوا إلى محبتي وقربي»[2].

«يا داود، أحِبني، وأحِبّ أحبائي، وحببني إلى عبادي»، فقال داود: إلهي أحبك وأحب أحباءك؛ فكيف أحببك إلى عبادك؟، فقال: «ذَكِّرْهُمْ آلائي، وحُسنَ لطائفي»[3].

---

(١) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص١١٧).

(٢) ((المصدر نفسه)): (ص١١٨).

(٣) ((المصدر نفسه)): (ص١٣٣).

وقال الله تعالى في بعض كتبه: «إنَّ أحب عبادي إليَّ من يحبب عبادي إليَّ، ويحببني لعبادي؛ أولئك الأبطال حقاً، إذا أردت أنزل بخلقي بلاء دفعت عنهم بهم»، وفي الخبر: إذا أحب الله عبداً من عباده، نادى جبريل ـ عليه الصلاة والسلام: «يا أهل السماء والأرض، يا معاشر أولياء الله وأصفيائه؛ إن الله تعالى يحب فلاناً فأحبوه»، وفي أخرى، قال أكمل الرسل ﷺ: «إذا أَحَبَّ الله الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ له الْقَبُولُ فِي الأرض»، متفق عليه[1].

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الخلق ــ باب ذكر الملائكة، رقم: ٣٢٠٩ ، ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب ــ باب إذا أحب الله عبداً حببه إلى عباده، رقم: ٢٦٣٧.

وفي رواية الإمام أحمد: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ اللَّهِ وَلاَ يَزَالُ بِذَلِكَ، فيقول الله ﷻ لِجِبْرِيلَ: إن فُلاَناً عبدي يَلْتَمِسُ أن يرضيني، ألا وإن رحمتي عليه، فيقول جِبْرِيلُ: رَحْمَةُ اللَّهِ على فُلاَنٍ، وَيَقُولُهَا حَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَقُولُهَا من حَوْلَهُمْ حتى يَقُولَهَا أَهْلُ السماوات السَّبْعِ، ثُمَّ تَهْبِطُ له إلى الأَرْضِ»[1].

إن المحب نهاره مستوحش
بين العباد يسير كالمتفرد
فالعين منه قريرة بحبيبه
يرجو لقاء الواحد المتوحد
يا حسن موكبهم إذا ما أقبلوا
نحو الإله مع النَّبيِّ محمّدِ

(١) ((مسند أحمد)): (٢٩٦/١٦)، رقم: ٢٢٣٠٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

قال العلاّمة الشوكاني: وأوليـاء الله سـبحانه يتفاوتون في الولاية بقوة ما رزقهم الله سبحانه من الإيمان، فمن كان أقوى إيماناً كـان في بـاب الولايـة أعظـم شـأناً، وأكـبر قـدراً، وأعظـم قربـاً إلى الله، وكرامـة لديـه، وكلمـا ازداد بعـد التقـرب إلى الله بفرائضــه، واجتنــاب مناهيــه بفعــل النوافــل، والاستكثار من ذكره ﷻ، زاده الله محبـة وفـتح لـه أبواب الخير كله دقِّه وَجلـه، ومـن وهـب لـه هـذه الموهوبات الجليلة، وتفضـل عليـه بهـذه الصـفات الجميلة فغير بعيد، ولا مستنكر أن تظهر على يديه من الكرامات التي لا تنافي الشـريعة والتصـرفات في مخلوقات الله ﷻ الوسيعة؛ لأنه إذا دعـاه أجابـه وإذا سأله أعطاه، ومما يظهر من كـثير مـن الأوليـاء من قطـع المسـافات البعيـدة، ومكاشـفات مصـيبة،

والأفعال التي تعجز عنها غالب القوى البشرية، ولا غرابة لأنه من كان مجاب الدعوة لا يمتنع عليه أن يسأل الله سبحانه أن يوصله إلى أبعد الأمكنة التي لا تقطع طريقها إلا في شهور في لحظة يسيرة؛ وهو القادر جل جلاله، القوي الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأي بُعد في أن يجيب الله دعوة من دعاه من أوليائه في مثل هذا المطلب وأشباهه؛ ومن نظر في مثل "الحلية": لأبي نُعيم، و"صفوة الصفوة": لابن الجوزي؛ عرف صحة ما ذكرناه، ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾﴾[1]"[2].

ويقول الشيخ ابن تيمية في "مختصر الفتاوى المصرية": وكرامات الأولياء حقٌ باتفاق أئمة أهل الإسلام والسنة والجماعة؛ وقد دل عليها القرآن في

---

(١) سورة الإسراء.

(٢) انظر: ((قطر الولي على حديث الولي)): (ص٤٨ ــ ٥٠).

غير موضع، والأحاديث الصحيحة والآثار المتواترة عن الصحابة والتابعين وغيرهم. وإنما أنكرها أهل البدع من المعتزلة والجهمية ومن تابعهم[1].

وقال في "العقيدة الواسطية": ((ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، وكالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، وسائر قرون الأمة، وهي "موجودة" فيها إلى يوم القيامة))[2].

وقال: ((وأولياء الله هم المؤمنون المتقون، وكراماتهم ثمرة إيمانهم وتقواهم. لا ثمرة الشرك

---

(١) ((مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية)): لأبي عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن عمر بن يعلى بدر الدين البعليّ (ت ٧٧٨هـ)، (ص٦٠٠).

(٢) ((العقيدة الواسطية)): (ص١٢٣).

والبدع والفسق. وأكابر الأولياء إنما يستعملون هـذه الكرامات بحجة للدين، أو لحاجة للمسلمين))[1].

وقال: ((ومن الكرامات مـا أظهرهـا أصـحابها؛ كإظهـار العـلاء ابـن الحضـرمي، المشـي علـى المـاء؛ وإظهار عمر مخاطبة سارية علـى المنـبر؛ وإظهـار أبـي مسلم لما أُلقي في النار أنها صارت عليه برداً وسلاماً؛ ومنها ما يتحدّى بها صاحبها أن ديـن الإسـلام حـق؛ كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السُّـمَّ؛ وكـالغلام الذي أتى الراهب، وترك السحر، وأمر بقتـل نفسـه بسهم باسم ربّه، وكان قبل ذلك خرقـت لـه العـادة، فلم يتمكّنوا من قتله، ومثل هذا كثير))[2].

وفي الخـبر: أوحـى الله تعـالى إلى داود ـ عليـه الصّلاة والسّلام: «من ذا الذي دعاني فقطعت رجاءه،

(١) ((قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة)): لابن تيمية (ص٥٠).

(٢) ((النبوات)): ٨٧.

ومن ذا الـذي قـرع بـابي فلـم يفـتح لـه، أنـا الـذي جعلت آمال خلقي بي متصـلة، وعنـدي مـدخرة، يـا داود، ما لعبدي يعرض عني وأنا أقول: إلـيَّ، يـا داود، أنـا محـل الآمـال، أنـا الـذي جعلـت طـيران قلـوب المشتاقين نحوي، وجعلتها في الأرض مواضـع نظـري، وأطلقتها إليَّ حتى تزداد شوقاً إلـيَّ، وقربـاً مـني، يـا داود، بشر أوليائي وأحبائي بـأني كـل سـاعة أريهـم كرامتي، ولطـائف صـنعي، وحسـن امتنـاني علـيهم، حتى لا ينسوني، ولا يميلوا إلى غيري، وشوقتهم إلـيَّ حتى لا يصـبروا عـني، وفتحـت لهـم أبـواب أُنسـي، واستجبت لهم قبل أن يـدعوني، وأعطيـتهم قبـل أن يسألوني، يا داود؛ فـو عزتـي وجلالـي لأقعـدنهم في الفردوس، ولأمكنهم من رؤيتي حتـى أرضـى عـنهم ويرضوا عني».

"أي ســـــادة": إذا اســـــتعنتم بعبـــاد الله وأوليائـه فـلا تشـهدوا المعونـة والإغاثـة مـنهم، فإن ذلك شـرك؛ ولكـن اطلبـوا مـن الله الحـوائج بمحبتـه لهـم؛ قـال ـ عليـه السّـلام: «ربَّ أشـعث[1] أغـبر ذي طمـرين[2]، مـدفوع بـالأبواب[3]، لـو أقسـم علـى الله لأبـره[4]»[5]. قلـب لهـم الأعيـان، وجعلـهم يقولـون بإذنـه للشـيء كـن فيكـون؛ عيسـى عليه السلام خلـق طـيراً مـن الطـين بـإذن الله، أحيا الموتى بـإذن الله؛ نبينـا وحبيبنـا سـيد سـادات

(١) الأشعث: الملبد الشعر المغبر غير مدهون ولا مرجل.

(٢) الطمر: الثوب الخلق.

(٣) أي: لا قدر له عند الناس، فهم يدفعونه عن أبوابهم، ويطردونه عنهم، احتقاراً له.

(٤) أي: لو حلف على وقوع شيء أوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله، وصيانته من الحنث في يمينه، وهذا لعظم منـزلته عند الله، وإن كان حقيراً عند الناس، وقيل: معنى القسم هنا الدعاء، وإبراره إجابته.

(٥) عند أحمد رقم: ١٢٣٦، بلفظ: «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ»، وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ــ باب فضل الضعفاء والخاملين، رقم: ٢٦٢٢ بلفظ: «رب أشعث، مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره».

الأنبياء محمد ـ عليه أفضل الصّلاة والسّلام، حَنَّ الجذع إليه، وسلّمت الجمادات عليه، وجمع الله به ما تفرق في الأنبياء والمرسلين من المعجزات، وجرت أسرار معجزته في أوليا أمته؛ فهي للأولياء كرامات تمر، وله ﷺ معجزة تستمر[1].

ومن ذلك؛ قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۝٧﴾[2]، فقد علمها الله ﷻ إلهاماً أو رؤية؛ وثبت الأمر بذلك نصاً شريفاً؛ وما فُعِلَ مع السيدة مريم بنت عمران ﵂؛ كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧﴾[3]،

(١) انظر: ((البرهان المؤيد)): (ص٩٣ ــ ٩٤).

(٢) سورة القصص.

(٣) سورة آل عمران.

وهذا أمر خارق من طريق غير مألوف؛ ونداء الملائكة لها غير مألوف، ورؤيتها لجبريل عليه السلام ليست بمألوفة، وحملها سيدنا عيسى عليه السلام بلا مس بشر غير مألوف، وكلامه عليه السلام وهو في المهد من أجل براءتها ليس بمألوف، وتحريك جذع النخلة لمريم، وهي في المخاض، وتساقط عليها رطباً جنياً ـ أي تمراً ناضجاً شهياً، ليس بمألوف، أي أن هذا الأمر خارق للعادة؛ كما قال تعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[1]، ومريم ـ رضوان الله عليها وسلامه، ليست بنبيا. وتلك الكرامات العظيمة حكاها القران فلا شك فيها ولا ريب؛ وهذا جزء يسير لما وقع من رحمةِ الله وفتحهِ للأمم السالفة؛ وما اختُصتْ هذه الأمة الإسلامية أوسع وأعظم، وهي:

(١) سورة مريم.

ما عليها الأمة بالتواتر اللفظي والمعنوي[1]؛ ومنها: ما كان للصحابة ﵃ من الكرامات التي يصعب حصرها، ونشير إلى بعضها.

وقبل ذكرها، قال الإمام الشوكاني: وكثيراً ما ترى الجبان إذا حكيت له أفعال الأفراد من أهل الشجاعة من مقارعة الأبطال، وملابسة الأهوال ومنازلة العدد الكبير من الرجال يستبعد عقله ذلك ويضيق ذهنه عن تصوره ويظنه باطلاً، ولا سبب لذلك إلا أن غريزته المجبولة على الجبن الخالع تقصر على أقل قليل من ذلك وتعجز عن الملابسة لأحقر منه. وهكذا البخيل إذا سمع ما يحكى عن الأجواد من الجود بالموجود والسماحة بالكثير الذي تشح نفوس من لم يهب الله له غريزة

(١) انظر: ((الموازنة بعقيدة الغيب)): للمؤلف.

الكـرم المحمـودة بعشـر معشـاره، ظـن أن تلـك الحكايـات مـن كـذب الـوراقين ومـن مخرقـة الممخـرقين، وهكـذا مـن قـل حظـه مـن المعـارف العلمية، وقصر فهمه عـن إدراك الفنـون المتنوعـة، استبعد عقله ونبا فهمه عن قبـول مـا مـنح الله بـه أكابر علماء هـذه الأمـة مـن التوسـع في المعـارف والاستكثار من العلوم المختلفة وفهمها كما ينبغي، وحفظها حق الحفظ، والتصرف الكامل في كل مـا يرد عليه منهـا فيـورده مـوارده، ويصـدره مصـادره. فـاعرف هـذا. ومـن نظـر مـا وهبـه الله سـبحانه للصـحابة رضي الله عنهم لم يسـتبعد شـيئاً ممـا وهبـه الله عز وجل لأوليائه ويصعب الإحاطة بأكثر ذلـك فضـلاً عـن كله[1].

---

(١) ((قطر الولي على حديث الولي)): (ص٥٢ ـ٥٥).

أما بعض كراماتهم رضي الله عنهم: فمنها: الكشف عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه: وهو الذي شهد الله تعالى له بالصدِّيقية، بقوله: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۝٣٣﴾[1]. قوله تعالى: ﴿جَآءَ بِٱلصِّدۡقِ﴾ أي: رسول الله ﷺ. ﴿وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ أي: أبو بكر رضي الله عنه.

عن عروة عن أبيه رضي الله عنهما، عن عائشة رضي الله عنها، أن أبا بكر لما حضرته الوفاة، دعاها فقال: إِنه ليس في أهلي بعدي أحد أحب إِليَّ غنى منك، ولا أعز علي فقراً منك وإِني كنت نحلتك[2] من أرض بالعالية جَدادَ[3] - يعني: صرام - عشرين وسقاً[4]، فلو كنتِ جدذْتِهِ تمراً عاماً واحداً انحازَ لك، وإِنما

(١) سورة الزمر.

(٢) النِّحلة: العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق كذا في غريب الحديث لابن الأثير، (١٣٩/٤).

(٣) الجداد: قال ابن الأثير: الجداد بالفتح والكسر: صرام النخل وهو قطع ثمرها يقال جد الثمرة يجدها جداً (١٧٣/١).

(٤) الوسق: قال في "القاموس": ستون صاعاً أو حمل بعير، وأوسق البعير حمله حملاً.

هو مال الوارث، وإِنما هما أخواك وأختاك. فقلتُ: إِنما هي أسماء، فقال: وذاتُ بطنِ ابنةِ خارجة، قد أُلقي في رُوْعي أنها جاريةٌ فاستوصي بها خيراً، فولدت أُمَّ كلثوم[١].

قال التاج السبكي: ((وفيه كرامتان لأبي بكر رضي الله عنه: إِحداهما: إِخباره أنه يموت في ذلك المرض، حيث قال: وإِنما هو اليوم مالُ وارثٍ. والثانية: إِخبارُه بمولود يولد له، وهو جارية، والسر في إِظهار ذلك استطابة قلب عائشة رضي الله عنها في استرجاع ما وهبه لها ولم تقبضْه، وإِعلامها بمقدار ما يخصها، لتكون على ثقة، فأخبرها بأنه مال وارث، وأنَّ معها أخوين وأختين))[٢].

(١) أخرجه ابن سعد في "الطبقات"، ذكر وصية أبي بكر. (١٩٥/٣).

(٢) ((طبقات الشافعية الكبرى)): لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، (٣٢٢/٢).

وكان الصديق رضي الله عنه: يأكل هو وأضيافه من القَصعَة، فلا يأكلون لقمة إلا رَبا من أسفلها أكثر منها فشبعوا، وهي أكثر مما كان فيها قبل أن يأكلوا[1].

ومنها: الكشف عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وقد شهد له رسول الله ﷺ أنه من الملهَمين: كما قال أكمل الرسل ﷺ: «لقد كان فِيمَا قَبْلَكُمْ من الأُمَمِ ناس مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ في أُمَّتِي أَحَدٌ؛ فإنه عُمَرُ»[2]، متفق عليه.

قال التاج السبكي: ((كان عمر رضي الله عنه قد أمَّرَ سارية بن زنيم الخلجي على جيش من جيوش

(١) ((قطر الولي)): (ص٢٤٩).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب المناقب ــ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، رقم: ٣٦٨٩، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ باب من فضائل عمر ــ رضي الله تعالى عنه، رقم: ٢٣٩٨.

المسلمين، وجهزه إلى بلاد فارس، فاشتد على عسكره الحال على باب نهاوند وهو يحاصرها، وكثرت جموع الأعداء، وكاد المسلمون ينهزمون، وعمر ﷺ بالمدينة فصعد المنبر وخطب، ثم استغاث في أثناء خطبته بأعلى صوته: يا سارية! الجبل، يا سارية الجبل، من استرعى الذئب الغنم فقد ظلم، فأسمع الله ﷻ سارية وجيوشه أجمعين، وهم على باب نهاوند صوتَ عمر، فلجأوا إلى الجبل، وقالوا: هذا صوت أمير المؤمنين، فنجوا وانتصروا))[1].

أقولُ: فنداء عمر ﷺ: كان كرامةً لمشاهدته، وإيصال صوته وسماع سارية ﷺ له، مع بعد المسافة

---

(١) ((طبقات الشافعية الكبرى)): (٢/٣٢٣ ــ ٣٢٤).

وهي مئات الأميال، فكان سر الحفظ من العدو، ونصر الله المسلمين عليهم بذلك. فتأمل.

وهذا المرتضى عليّ ﷺ، وكرم الله وجهه؛ الذي رباه رسول الله ﷺ في حجره، وقال له: «ألا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ من مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ ليس نَبِيٌّ بَعْدِي»، متفق عليه[(١)].

ـ وقال كرم الله وجهه، لأهل الكوفة: ((سينزل بكم أهل بيت رسول الله ﷺ فيستغيثون بكم، فلم يغاثوا)) فكان منهم في شأن الحسين ﷺ ما كان[(٢)].

ـ ولما أتت الليلة التي استشهد في صبيحتها جعل يكثر من الخروج من البيت والنظر إلى السماء، وجعل يقول: ((والله ما كذبت وما كذبت.

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب المغازي ــ باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة، رقم: ٤٤١٦، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة ــ رضي الله تعالى عنهم ــ باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، رقم: ٢٤٠٤.

(٢) ((فيض القدير)): (١/١٤٣).

وإنهـا الليلـة الـتي وعـدت)) وأقبـل عليـه الإوز يصحن في وجهه فطردوهن فقال: ((دعوهن فإنهن نوائح))[1].

ومنها: ما روي أن سيدنا علي بن أبي طالب ﷺ، وكرم الله وجهه: دخل بيته والأولاد يبكون بالجوع، فقال: ما شأنهم؟، فأخبرته السيدة فاطمة ـ عليها السَّلام ـ بأنه من الجوع، وليس عندهم شيء، فخرج فاقترض ديناراً ليشتري به لهم ما يأكلون، فهو راجع به، وإذا بأحد قرابته فسأله عن حاله، فأخبر أن عياله على جوع شديد، وأنه ليس عنده شيء، فدفع له الدينار كلّه، ودخل بيته وليس عنده شيء، وهذا عشية النهار، ثم خرج يصلي مع النبي

---

(١) ((الصواعق المحرقة)) لأحمد بن حجر الهيتمي المكي (ت٩٧٤هـ)،(ص١٣٤)،((أسد الغابة)) لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بـ "ابن الأثير" (ت٦٠٦هـ)، (٨٠٣/١).

ﷺ فدنا منه في الصلاة، فلما فرغت الصّلاة التفت ﷺ إليه، وقال له: «يا علي، هلاّ عشّيتني الليلة؟»، فتفكر في نفسه أنه ما عنده شيء، فقال له: نعم، ثقة بالله، ثم ببركته ﷺ، فأتى معه إلى منزل عليٍّ، فدخل عليٌّ والنَّبيُّ ﷺ معه، ثم قال النَّبيُّ ﷺ: «يا بنية، ألا تعشينا» فالتفت عليَّ، فإذا في البيت ثريد مغطى يبخر، فقدم لهم، فقال: «يا علي، هذا بالدينار الذي أعطيته فلاناً» وحمد عليه السلام، الله، على ما جعل في أهل بيته مما يشبه مريم - عليها السّلام - حين قيل لها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ۞﴾[1]"[2].

ومنها: الكشف عند عثمان ذي النورين رضي الله عنه، الذي تستحي منه الملائكة[3]؛ إنه دخل على عثمان

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((بهجة النفوس)): (٢/١٤٠).

(٣) من حديث أخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير)): (١١/٢٠٣)، رقم: ١١٦٥٦.

﵁ رجل، كان قد لقي امـرأة في الطريـق، فتأملـها، فقال له عثمان ﵁: يدخل أحدكم، وفي عينيـه أثـر الزنا ؟ فقال الرجل: أوحْيٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن. قلتُ: وإنما أظهـر عثمـان هذا تأديباً للرجل، وزجراً له عن شيءٍ فعله[1].

واعلم: أن المرء إذا صفا قلبه، صار ينظـر بنـور الله، فلا يقع بصره على كدر أوصاف إلا عرفه، ثـم تختلف المقامات؛ فمنهم من يعرف أن هنـاك كـدراً ولا يدرى ما أصله، ومنهم من يكون أعلا من هـذا المقام فيدرى أصله، كما اتفق لعثمان ﵁ فإن تأمـل الرجـل للمـرأة أورثـه كـدرا فأبصـره عثمـان وفهم سببه[2]؛ ولهم ﵃ مثل هذا وأكثر.

(١) ينظر: ((طبقات الشافعية الكبرى)): (٢/٣٢٧).

(٢) المصدر نفسه: (٢/١١٥).

أما دلالة الفراسة؛ قوله ـ تبارك تعالى: ﴿لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ٧٥﴾[1] أي: المتفرسين. أخرج البخاري في "تاريخه" والترمذي وابن جرير وابن أبي حاتم وابن السني وأبو نُعيم معاً في "الطب" وابن مردويه والخطيب عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإن المؤمن ينظر بنور الله»[2]، ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ﴾.

ـ وأخرج ابن جرير عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «احذروا فراسة المؤمن، فإن المؤمن ينظر بنور الله، وينطق بتوفيق الله»[3].

---

(١) سورة الحجر.

(٢) ((التاريخ الكبير)): (٧/٣٥٤)، ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن ــ باب ومن سورة الحجر، رقم: ٣١٢٧، ((تفسير الطبري)): لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري (ت٣١٠هـ)، (١٧/١٢١)، ((حلية الأولياء)): (٤/٩٤)، ((تاريخ بغداد)): لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) (٣/٤٠٩).

(٣) ((تفسير الطبري)): (١٧/١٢٢).

قال العلاّمة ابن القيم: يا أيها الأعزل احذر فراسة المتقي، فإنه يرى عورة عملك من وراء ستر، «اتقوا فراسة المؤمن» حديث شريف رواه الترمذي في سننه، والفراسة ـ بكسر الفاء ـ قال في النهاية: يقال بمعنيين: أحدهما، ما دل ظاهر هذا الحديث عليه وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات، وإصابة الظن والحدس. والثاني نوع يتعلم بالدلائل والتجارب والخلق والأخلاق فتعرف به أحوال الناس. وللناس فيه تصانيف قديمة وحديثة[1].

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم ـ عليه الصّلاة والسّلام: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ

(١) ((الفوائد)): لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، (ص٧٥).

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ٨٩﴾[1]. قال ذو النون المصري: ((إن لله عباداً يبلغون في درجة الصفاء مقاماً تقع فراستُهم على سرِّ الناس، فيعرفون السعداء من الأشقياء، يختص برحمته من يشاء من عباده))[2].

وحقيقة الصفاء؛ التخلق بِخُلق المصطفى ﷺ، والاقتداء بأصحابه أولي الصدق والوفاء، والانقطاع إلى الملك الأعلى[3].

قال إسحاق بن إبراهيم: ((لئن تَرُدَّ قلبك إلى الله ذرة خير لك من جميع ما طلعت عليه الشمس، وما من أحد صفا قلبه من أدناس الشهوات، وطهره من غبار الغفلات، ونقاه من كدورات الغوايات، إلا أطلعه الله على غاية الغايات))[4].

---

(١) سورة الشعراء.

(٢) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص٩١).

(٣) ((المصدر نفسه)): (ص٩٢).

(٤) ((المصدر نفسه)): (ص٩٩).

وقال الإمام معروف الكرخي: بينما أنا أسير في البادية لم يكن معي أحد من البشر، إذ نزل شخص من السماء، فسألني ما الصفاء؟ فقلت: صدق الوفاء، فقال: صدقت، ثم عرج وهو يقول: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ ۝٧﴾ [1] [2].

ومنها: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَفَرَسُهُ مَرْبُوطَةٌ عِنْدَهُ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ فَسَكَتَ فَسَكَتَتْ، فَقَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ، فَسَكَتَ وَسَكَتَتِ الفَرَسُ، ثُمَّ قَرَأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ فَانْصَرَفَ، وَكَانَ ابْنُهُ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصِيبَهُ فَلَمَّا اجْتَرَّهُ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى مَا يَرَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ،

---

(١) سورة الإنسان.

(٢) ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): (ص٩٢).

اقْرَأْ يَا ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَأَشْفَقْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، وَكَانَ مِنْهَا قَرِيبًا، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَانْصَرَفْتُ إِلَيْهِ، فَرَفَعتُ رَأْسِي إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ المَصَابِيحِ، فَخَرَجَتْ حَتَّى لاَ أَرَاهَا، قَالَ: «وَتَدْرِي مَا ذَاكَ؟»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «تِلْكَ المَلاَئِكَةُ دَنَتْ لِصَوْتِكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَنْظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا، لاَ تَتَوَارَى مِنْهُمْ»[1].

وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين، وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت أو سبح ما فيها[2].

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب فضائل القرآن ــ باب نزول السكينة والملائكة عند تلاوة القرآن، رقم: ٥٠١٨.

(٢) ((قطر الولي)): (ص٢٤٨).

وخُبيب بن عدي ﷺ، لما أسره المشركون كان يؤتى بقطف من العنب في غير وقته[1].

وكذلك من بعدهم، من التابعين، من ألقي في النار، فوجد قائماً يصلي، وهو أبو مسلم الخولاني، ولما قدم المدينة جعله عمر بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يُمِتْني حتى أراني من أمة محمد ﷺ من فُعِلَ به كما فُعِلَ بإبراهيم عليه السلام، ودعا على امرأة أفسدت عليه زوجته فعميت، فتابت فدعا لها فرد الله عليها بصرها[2].

ومنهم: صلة بن أشيم ماتت فرسه في الغزو فقال: اللَّهمَّ؛ لا تجعل لمخلوق عليَّ منَّة، ودعا الله فأحياه، فلما وصل إلى بيته قال: يا بني خذ سرج

---

(١) ((قطر الولي)):(٢٤٩)،ذكر القصة الإمام الذهبي في ((تاريخ الإسلام)): (٣٤١/٣٤٠/١)، وقالت إحدى بنات الحارث، وقد أسر عندهم: والله ما رأيت أسيراً قط خيرا من خُبيب، والله لقد وجدته يأكل قطفاً من عنب، وإنه لموثق بالحديد، وما بمكة من ثمرة.

(٢) ((المصدر نفسه)): (٢٥٣).

الفرس فإنه عارية، فأخذ سرجه فمات. ومنها: كان سعيد بن المسيب لما خلى في المسجد أيام الحرة، سمع الأذان من قبر النَّبيِّ ﷺ، وكان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت معه آنيته [1].

وحكي: أن إبراهيم بن أدهم قال: مررت براعي فقلت له: هل عندك شربة ماء أو من اللبن، قال: أيهما أحب إليك؟، قلت: الماء؛ قال: فضرب بعصاه حجراً صلداً لا صدع فيه، فانبجس منه الماء فشربت منه، وهو أبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وبقيت متعجباً، فقال الراعي: لا تتعجب فإن العبد إذا أطاع الله، أطاعه كل شيء، وأمثال هذه الكرامات كثير، والأمر فيه يطول. والحمد لله.

(١) ((المصدر السابق)): (٢٥٤).

قال الإمام الدَّسُوقي: وعطاء الله غير ممنوع يعطي الله لعباده في ساعة واحدة في ليلة وفي زمن وفي أمر، ومن يعترض من سائر المعترضين إنما يعترض على الله تعالى في فعله، ونعوذ بالله تعالى من التعرض. اللَّهمَّ؛ أعددت لكل هول: لا إله إلا الله، ولكل نعمة: الحمد لله، ولكل رخاء: الشكر لله، ولكل أعجوبة: سبحان الله، ولكل ضيق: حسبي الله، ولكل ذنب: أستغفر الله، ولكل هم وغم: ما شاء الله، ولكل قضاء وقَدَر: توكلت على الله، ولكل مصيبة: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل طاعة ومعصية: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

ـ قوله: «وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إلـيَّ

(١) ((الجوهرة المضيئة)): لبرهان الدين إبراهيم بن أبي المجد بن قريش الدسوقي القرشي (ت٦٩٦هـ)، (ص١٩٩ ، ٣٦٣).

بالنوافِلِ حتّى أُحبَّه»[1]، قال الحافظ ابـن حجـر في "الفـتح": يجـوز في "أحـبَّ" الرفـع والنَّصـب، ويـدخل تحـت هـذا اللَّفـظ جميـع فـرائض العـين والكفاية، وظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيَّته، وفي دخـول مـا أوجبـه المكلَّـف علـى نفسـه نظـرٌ للتَّقييد بقوله: «افْتَرَضْتُ عليه» إلا إنْ أخذَ من جهة المعنى الأعمّ، ويستفاد منه: أن أداء الفرائض أحـبُّ الأعمـال إلى الله. قـال الطُّـوفيُّ: الأمـر بـالفرائض جـازم، ويقـع بتركهـا المعاقبـة، بخـلاف النَّفـل في الأمـرين، وإن اشْـتركَ مـع الفـرائض في تحصِـيل الثَّواب؛ فكانـت الفـرائضُ أكمـلَ، فلهـذا كانـتْ أحبَّ إلى الله تعالى، وأشدَّ تقريباً، وأيضاً فـالفرضُ كالأصـلِ والأسِّ؛ والنَّفـلُ كـالفرعِ والبنـاءِ، وفي

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ــ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

الإتيان بالفرائض على الوجه المأمور به، امتثالُ الأمرِ، واحترامُ الآمرِ، وتعظيمُهُ بالانقيادِ إليهِ، وإظهارُ عظمةِ الرُّبوبيَّة، وذلّ العبوديَّة، فكان التَّقرُّب بذلك أعظمَ العمل، والذي يؤدِّي الفرائض قد يفعله خوفاً من العقوبة، ومؤدِّي النَّفل لا يفعله إلا إيثاراً للخدمة، فيُجازَى بالمحبَّة الَّتي هي غايةُ مطلوبِ من يتقرَّب بخدمته[1].

ـ وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: لَمَّا ذكر أنَّ معاداة أوليائه محاربةٌ له، ذكر بعد ذلك وصفَ أوليائه الذين تحرُم معاداتُهُم، وتجب موالاتُهم، فذكر ما يتقرَّب به إليه، وأصلُ الولاية: القربُ، وأصلُ العداوة: البعدُ، فأولياء الله هُمُ الذين يتقرَّبون إليه بما يقرِّبهم منه ، وأعداؤه الذين

(١) ((فتح الباري)): لابن حجر العسقلاني، (١١/٣٤٣).

أبعدهم عنه بأعمالهم المقتضية لطـردهم وإبعـادهم منه، فقسَّمَ أولياءه قسمين:-

أحـدهما: مـن تقـرَّب إليـه بـأداء الفـرائض، ويشمل ذلك فعل الواجبات، وتركَ المحرَّمـات؛ لأنَّ ذلك كُلّهُ من فرائضِ اللهِ التي افترضها على عباده .

والثـاني: مـن تقـرَّب إليـه بعـدَ الفـرائضِ بالنوافل، فظهـر بـذلك أنَّـه لا طريـق يُوصِـلُ إلى التقرُّب إلى الله تعالى، وولايته، ومحبته سوى طاعتـه التي شرعها على لسان رسوله، فمـنِ ادَّعـى ولايـةَ الله، والتقرُّب إليه، ومحبَّته بغير هذه الطريق، تبـيَّن أنَّه كاذبٌ في دعواه ... لذلك ذكرَ في هـذا الحـديث أنَّ أولياء الله على درجتين:-

أحدهما : المتقرِّبُون إليه بأداءِ الفرائض ، وهذه درجة المقتصدين أصحاب اليمين ، وأداء الفرائض

أفضلُ الأعمال كما قال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: أفضلُ الأعمال أداءُ ما افترضَ اللهُ، والوَرَعُ عمّا حرَّم الله، وصِدقُ النيّة فيما عند الله عز وجل. وقال عمرُ بنُ عبد العزيز رضي الله عنه، في خطبته: أفضلُ العبادة أداءُ الفرائض، واجتنابُ المحارم، وذلك لأنَّ الله عز وجل إنَّما افترض على عباده هذه الفرائض لِيُقرِّبهم منه، ويُوجِبَ لهم رضوانه ورحمته .

ـ الدرجة الثانية: درجةُ السابقين المقرَّبين، وهُمُ الذين تقرَّبوا إلى الله بعدَ الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والانكفافِ عن دقائقِ المكروهات بالوَرعِ، وذلك يُوجبُ للعبدِ محبَّةَ اللهِ، كما قال: «وَلا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ»، فمن أحبه الله، رزقه محبَّته وطاعته والاشتغالَ بذكره وخدمته، فأوجبَ له ذلك القرب منه، والزُّلفى

لديه، والحظْوة عنده، كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[1]، ففي هذه الآية إشارةٌ إلى أنَّ مَنْ أعرض عن حُبِّنا، وتولى عن قربنا، لم نبالِ، واستبدلنا به من هو أولى بهذه المنحة منه وأحقُّ، فمن أعرضَ عنِ الله، فما له مِنَ الله بَدَلٌ، ولله منه أبدال[2].

مَا لِي شُغُلٌ سِوَاهُ مَا لِي شُغُلُ

مَا يَصْرِفُ عَنْ هَوَاهُ قَلْبِي عَذَلُ

---

(١) سورة المائدة.

(٢) ((جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم)): لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن الحنبلي (ت ٧٩٥هـ)، (٢/٣٣٥ ــ ٣٣٨).

مَا أَصْنَعُ إِنْ جَفَا وَخَابَ الأَمَلُ
مِنِّي بَدَلٌ وَمَا لِي مِنْهُ بَدَلُ[1]

وفي بعض الآثار يقول الله ﷻ: «ابْنَ آدَمَ اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتُّك فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»، وكان ذو النون، يردّد هذه الأبيات بالليل كثيراً:-

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وَجَدْتُ أنا
قد وجدت لي سكَنَاً ليس في هواه عَنَا
إنْ بَعَدْتُ قرَّبَنِي أو قَرُبْتُ مِنه دَنا[2]

قلت: فمن عظيم المقرِّب إلى الله تعالى، ما فرض الله على هذه الأمة المرحومة؛ لأنه الأساس، والأمر الذي ألزم الله ﷻ به عباده، ولأنه - جلَّ

(١) ((المصدر السابق)): (٢/٣٣٨).
(٢) ((المصدر نفسه)): (٢/٣٣٨).

وعلا، أهلٌ للعبادة، والتارك لهذا معذب، لأنه خالف المأمور به.

والنوافل لها أمران، الأول: أنها من المقربات، وأضيفت إليها المحبة؛ لأنها داخلة في المقرِّب المفروض لما في ذلك كمال النقص في الفرض؛ لقوله تعالى في الحديث القدسي: «انْظُرُوا، هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِن الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ»[(١)]، والثاني: زيادة الثواب، وهي نافلة لا عقاب بتركها، بل يتقرب بفعلها، لذا كانت بين المقرِّب والمحبة، لقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب قول النبي ﷺ: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه»، رقم: ٨٦٤، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ــ باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، رقم: ٤١٣، وقال: حسن غريب، ((سنن النسائي)): كتاب الصلاة ــ باب المحاسبة على الصلاة، رقم: ٤٦٦، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ــ باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، رقم: ١٤٢٦، ((مسند أحمد)): (٩/٢٢٧)، رقم: ٩٤٦٢.

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾[1]، والجمع بينهما عظيم الثواب، والوصول إلى الله ـ جلّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

ومن عظيم المقرِّب إلى الله ـ جلّ وعلا ـ صلاة التهجد: كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾[2].

ـ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ﴾ إن شئت يا أكمل الرسل ازدياد القرب والثواب اسهر، واستيقظ قطعة من الليل واترك النوم فيها طلباً لمرضاة الله ﷻ.

ـ﴿فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾ أي: صلِّ فيها صلاة التهجد بطول القراءة؛ لتكون ﴿نَافِلَةٗ لَّكَ﴾ زائدة على فرائضك، مزيدة لقربك وكرامتك ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ﴾ أي: يُقيمك لسعيك واجتهادك في تهجدك.

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الإسراء.

ـ ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ أي: مقاماً من مقامات القرب ودرجات الوصال ـ فسمِّي "بالمقام المحمود" لأن كل من وصل إليه، يحمد له؛ إذ لا مقام أرفع منه وأعلى رتبة مكانه، "والمقام المحمود": هو الشفاعة؛ لأنه يحمده فيه الأولون والآخرون؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

واعلم: أن صلاة رسول الله ﷺ بالليل تهجداً، وقراءة القرآن فيها؛ ترقياً له ﷺ. وللمؤمنين كفارة للذنوب، ومحو لخواطر النفس، وتقرب إلى الله عز وجل.

ووصولك أيها السائر إلى الله تعالى، بهذه الدرجات؛ ليوفقك المولى ـ جلَّ جلالُهُ ـ لتكمل أهل النقصان والغفلات ـ عسى أن تنقذهم من

---

(١) ((مسند أحمد)): (١٣/١٤١)، رقم: ٧٧١٤، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

لـــوازم الإمكـــان المفضـــي إلى دركـــات الـــنيران، وتوصلهم بهمة التوفيق الربانيّ إلى فضـاء الجنـان والقرب؛ فصلاة الليل، هـي: حيـاة القلـب، وإنهـا لترتقي بصاحبها شيئاً فشيئاً؛ حتى ينال منزلة المحبة، ومقام الولاية الحق، فضلاً من الله ونعمة في ناشـئة الليل ـ خوفاً من جلال الله ﷻ، وشـوقاً إلى جمـال الحق ولطفه ـ وهو اللطيف الواسع العليم.

"أي ســـادة": إن صـــلاة الليـــل هـــي: طريقـــة وعـــادة وأخـــلاق الصـــالحين؛ كمـــا قـــال أكمـــل الرســـل ﷺ «عَلَـيْكُمْ بِقِيَـامِ اللَّيْـلِ، فإنـه دَأْبُ[1] الصَّـالِحِينَ قَـبْلَكُمْ، وَإِنَّ قِيَـامَ اللَّيْـلِ قُرْبَـةٌ إلى اللَّــهِ، وَمَنْهَــاةٌ عــن الإِثْــمِ، وَتَكْفِــيرٌ لِلسَّــيِّئَاتِ،

(١) دأب بسكون الهمزة، ويبدل ويحرك؛ أي: عادتهم وشأنهم. قال الطيبي: الدأبُ: العادة والشأن، وقد يُحَرَّك وأصله من دَأَبَ في العمل، إذا جد وتعب. ينظر: ((تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي)): لأبي العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت ١٣٥٣هـ)، (٩/٤٩٧).

وَمَطْــرَدَةٌ لِلــدَّاءِ عــن الْجَسَــدِ» رواه الترمــذي وغــيره[1]، وقــال ﷺ: «يَنْــزِلُ رَبُّنَــا - تَبَــارَكَ وَتَعَــالَى[2] كُــلَّ لَيْلَــةٍ إلى السَّــمَاءِ الــدُّنْيَا حــين يَبْقَــى ثُلُــثُ اللَّيْــلِ الآخِــرُ يقــول مــن يَــدْعُونِي فَأَسْــتَجِيبَ لَــه مــن يَسْــأَلُنِي فَأُعْطِيَــهُ مــن يَسْــتَغْفِرُنِي فَــأَغْفِرَ لَــه» رواه الخمســة[3]، وقــال عليه السلام: «إن في اللّيــل لَسَــاعةً لا يُوافقهــا رجــلٌ

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٤٩، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"، رقم: ١١٣٥، وابن نصر (ص١٨)، وابن عدي (٢٢٠/١)، والترمذي في "الجامع" رقم: ٣٥٤٣، ٣٥٤٤، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥٠٢/٢)، وله شواهد عن بلال وأبي الدرداء وسلمان وجابر، فهو حديث صحيح بمجموع شواهده. ينظر: ((المستدرك)): (٦١٣/١)، رقم: ١١٩٧.

(٢) أي: يتجلى على عباده تجلياً خاصاً، في صلاة التهجد، ويجيب الداعين ويغفر للمستغفرين.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، رقم: ١١٤٥، وفي كتاب الدعوات ــ باب الدعاء نصف الليل، رقم: ٦٣٢١، وفي كتاب التوحيد ــ باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح]، رقم: ٧٤٩٤، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، رقم: ١٧٦٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب أي الليل أفضل، رقم: ١٣١٥، ((سنن النسائي الكبرى))، (١٦٧/٧)، رقم: ٧٧٦٨.

مسلمٌ يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إيّاه، وذلك في كلّ ليلةٍ»[1]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «مَن اسْتَيْقَظَ من اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جميعاً كُتِبَا من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ». رواه أبو داود وابن ماجه[2]، وقال ﷺ: «أيّها النّاس، أفشوا السّلام، وأطعموا الطّعام، وصلُّوا بالليل والنَّاس نيامٌ، تدخلوا الجنَّة بسلام»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[3].

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب في الليل ساعة يستجاب الدعاء فيها، رقم: ٧٥٧.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الحث على قيام الليل، رقم: ١٤٥١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ــ باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، رقم: ١٣٣٥، وهو حديث صحيح. ينظر: ((شروح ابن ماجه)): (٥٣٤/١).

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٤٨٥.

وقال أمير المؤمنين علـي بـن أبـي طالـب ﷛، وكرّم الله وجهه، أن النَّبيَّ ﷺ طَرَقَهُ[1] وفاطمة لـيلاً، فقال: «ألا تُصَلِّيَّانِ؟» متفق عليه[2].

يقول الطبري: لولا ما علمه النَّبيُّ ﷺ من عظيم فضل الصلاة في الليل ما كـان يـزعج ابنتـه وابـن عمه في وقت جعله الله لخلقـه سـكناً، لكنـه اختـار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدَّعة والسكون[3].

ويروى عن محمد بن إبراهيم قال: رأيت الجنيد في النوم، فقلت ما فعل الله بك؟ قال: طاحت تلك الإشارات، وغابت تلك العبارات، وفنيت تلك العلوم، ونفدت تلك الرسوم، وما نفعنا إلا

---

(١) أي: أتاه ليلاً.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، رقم: ١١٢٧، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم: ٧٧٥.

(٣) ((فتح الباري)): (١١/٣).

ركعات نركعها في الأسحار[1]. أي: تهجداً وتنفلاً وتطوعاً، وقد مدح الحقُ عباده وأحبابه: بقوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[2].

فإن لم يتيسر لك هذا الشرف ـ وهو الاستيقاظ في الثلث الأخير من الليل، **فعليك بالاستيقاظ قبل الفجر** حتى لا تفوتك نفحة التجلي قبل طلوع الفجر: لما روى الترمذي وصححه عن عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ ﷺ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنْ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللَّهَ فِي تِلْكَ

---

(١) ((حلية الأولياء)): (٢٥٧/١٠).

(٢) سورة الذاريات.

السَّاعَةِ فَكُنْ»[1]، ثم صلاة الفجر التي هي عروس الصلاة: قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝٧٨﴾[2]، ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾ أي: صلاة الفجر، وسميت قرآناً، لمشروعية إطالة القراءة فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة، حيث يشهدها الله "أي قبولا ورضا"؛ وملائكة الليل وملائكة النهار ـ كالملائكة الكتبة والحفظة؛ فتنزل ملائكة النهار، وتصعد ملائكة الليل، وتلتقي الطائفتان في ذلك الوقت.

والسُّنَّة: إقامة الصلاة تكون بعد أذان الفجر بنصف ساعة؛ لتكون ملائكة الليل حاضرين، فإذا امتدت الصلاة لهذا الوقت، وبسبب ترتيل القراءة وتكثيرها؛ زالت الظلمة، وظهر الضوء، وحضرت

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٥٧٩.

(٢) سورة الإسراء.

ملائكة النهار، كما قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلاَئِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَصَلاَةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ»[1]، وأخذ الإمام مالك؛ أن صلاة الوسطى هي: الصبح[2]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدّنيا وما فيها» رواه مسلم[3]، وفي

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب مواقيت الصلاة ــ باب فضل صلاة العصر، رقم: ٥٥٥، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم: ٦٣٢.

(٢) ((التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)): لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت ٤٦٣هـ)، (٤/٢٧٤).

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨٥.

رواية: «لَهُمَا أحَبُّ إليَّ من الدّنيا جميعا»[1]. هذه سنة الفجر القبلية، أيها الأحبة، فكيف مقام الفرض مع الجماعة؟. احرص على ذلك، فبذلك فلاحك وترقيك، وأوصى نبينا وحبيبنا محمدٌ ﷺ جَدّنا عليّاً المرتضى عليه الرضوان، قائلاً: «يا عليُّ: احفظ التوحيد فإنه رأس مالي، والزم العمل فإنه حرفتي، وأقم الصلاة فإنها قرة عيني، واذكر الرب فإنه بصيرة فؤادي، واستعمل العلم فإنه ميراثي»[2]. اللَّهمَّ؛ وفقنا لذلك، آمينَ آمين .

اللَّهمَّ؛ صلِّ على سيدنا محمد صلاة لا تعد ولا تحد، ولا يحصي ثوابها أحد، يا رازق النعاب في وكره، يا رازق العبد الشكور، ومن جحد، يا من

(١) ((صحيح مسلم)):كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما، وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ٧٢٥.

(٢) ((التفسير الكبير)): (١٧٦/٢).

صفاته؛ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ٤﴾.

ومن المقرِب إلى ذات الحق - جلَّ وعلا، "العلم": كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ ٢٨﴾[1]، قال أكمل الرسل ﷺ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ» ثُمَّ تَلا هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾، رواه الترمذي والدارمي[2].

وقال - جلَّ ثناؤه: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ١١﴾[3]. وقال أكمل الرسل - صلى الله عليه وآله وسلم: «يَا أَبَا ذَرٍّ، لأَنْ تَغْدُوَ

---

(١) سورة فاطر.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ــ باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم: ٢٦٨٥، قال الألباني: صحيح ((سنن الدارمي)): المقدمة ــ باب من قال: العلم الخشية وتقوى الله، رقم: ٢٧٩.

(٣) سورة المجادلة.

فَتعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، خَيْرٌ لَك مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ، عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ»[1] .

والعلم، هو: إدراك، ولا إدراك من دون حياة، ولا حياة دون روح، فلا علم دونما روح؛ ومراتبه ثلاثة:-

المرتبة الأولى: دلالة الكتاب والسُّنَّة، بشريعة الله الإسلام، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾[2] أي: كل ما أمركم به فخذوه، وكل ما نهاكم عنه فاحذروه واجتنبوه، فلكل عبدٍ سائر بأحواله إلى الله، أمور ثلاث: ١ـ أوامر يمتثلها. ٢ـ ونواهي

---

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب أبواب السنة ــ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٢١٩. قال محمد فؤاد عبد الباقي: قال المنذري: إسناده حسن. لكن في الزوائد: أنه ضعف عبد الله بن زياد، وعلي بن زيد بن جدعان، قال: وله شاهدان أخرجهما الترمذي.

(٢) سورة الحشر.

يجتنبها. ٣ـ وقدر يرضى به؛ وعلامة رضاه الله، الرضا بما قدر الله.

المرتبة الثانية: ما يراد من دلالة الكتاب والسنة بأدلة الشريعة الغراء، وهذا ينقسم إلى قسمين: -

القسم الأول: "علم العامة"، وهو: المتألف من الأحكام التي لا يسع إنساناً بالغاً عاقلاً من الذكور والإناث إلا العلم بها ما دام فرداً من أفراد الأمة، وهو: "المعلوم من الدين بالضرورة" أو "علم الدين الضروري الواجب"، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴿٣٠﴾﴾،[1] وقال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[2].

---

(١) سورة الروم.

(٢) سورة البقرة.

القسم الثاني: "علم الخاصة"، وهو: المتكون من الأحكام والقواعد القانونية المفصلة التي يختص بمعرفتها الفقهاء والمجتهدون دون سائر الناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ۝٨٣﴾[1]، فإنَّ من العلم ما يدرك بالتلاوة والرواية، وهو "النّص"، ومنه ما يدرك بالاستنباط، وهو: على المعاني المودعة في النصوص وهي: "الأحكام".

المرتبة الثالثة: وهي تحقيق العلم، وهي: حقائق العلوم، وهو: علم أهل المعرفة بالله؛ كما قال تعالى: ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ ۝٤٩﴾[2]، وقال ـ جلَّ مجده: ﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ

(١) سورة النساء.

(٢) سورة العنكبوت.

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٦٩﴾[1]، وهي: إحكام الأحكام. والحكمة: سر النبوة، وفُسِّرَتْ بأنها: شيء يجعله الله في القلب ينور له به[2]، قال مجاهد: هي القرآن والعلم والفقه[3]. وقال الحسن: من أُعطي القرآن فكأنّما أُدرجت النبوّة بين جنبيه إلّا أنه لم يُوحَ إليه.

ـ فالحكمة، هي: العلم بحقائق الأشيله على ما هي عليه والعمل بمقتضاها؛ من علم وعمل وحال بالله تعالى، قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالعِلْمِ، كَمَثَلِ الغَيْثِ الكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ المَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ،

(١) سورة البقرة.

(٢) ((تفسير الطبري)): (٨٧/٣).

(٣) ((المصدر نفسه)): (٥٧٧/٥).

فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لاَ تُمْسِكُ مَاءً وَلاَ تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ» متفق عليه[1]، وقال ﷺ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٍ آتَاهُ اللَّهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» رواه البخاري ومسلم[2]، قال الإمام النووي - رحمه الله تعالى: ومعناه: ينبغي أن لا يُغبَطَ أحدٌ إلا على إحدى

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب العلم ــ باب من علم وعلّم، رقم: ٧٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الفضائل ــ بيان ما بعث به النبي من الهدى والعلم، رقم: ٢٢٨٢.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب فضائل القرآن ــ باب اغتباط صاحب القرآن، رقم: ٥٠٢٥، وكتاب التوحيد ــ باب قول النبي ﷺ: «رجل آتاه الله القرآن»، رقم: ٧٥٢٩، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه وفضل من تعلم حكمة، من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها، رقم: ١٨٩١.

هاتينِ الخصلَتينِ[1]. اللَّهمَّ؛ صلِّ على فاتح باب العلم، وعين اليقين، وعلى آله وأصحابه ومن والاه ـ إلى يوم الدين.

ومن عظيم المقربات إلى الله ﷻ "ذكر الله تعالى"؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ١٥٢﴾[2]، وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ٤٥﴾[3]، وقال ـ جلَّ مجده: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾[4]، وقال ـ جلَّ ذكره: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ٤١﴾[5]، وقال

---

(١) ((المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)): لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ)، (٩٧/٦).

(٢) سورة البقرة.

(٣) سورة العنكبوت.

(٤) سورة الأحزاب.

(٥) سورة آل عمران.

عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾[1]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَرْضَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَمِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟» قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ»، وَقَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ــ رضي الله تعالى عنه: «مَا عَمِلَ امْرُؤٌ بِعَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ» رواه مالك وأحمد والترمذي[2].

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) ((موطأ مالك)): لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ) كتاب القرآن ــ باب ما جاء في ذكر الله ــ تبارك وتعالى، رقم: ٧١٦، ((مسند أحمد)):=

ـ ومن عظيم الذكر؛ القرآن المجيد؛ كما قال ـ جلَّ شأنه: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾[1] ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ﴾ أي القرآن وحججه فهو من أعظم الذكر؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾[2]، روى الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ» قَالَ: وَمَا الْحَالُّ الْمُرْتَحِلُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَضْرِبُ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ إِلَى آخِرِهِ كُلَّمَا حَلَّ

=(١٨/٥٧٦)، رقم: ٢٧٣٧١، ورقم: ٢٧٣٩٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧٧.

(١) سورة الفرقان.

(٢) سورة فاطر.

ارْتَحَلَ»[1]، أي: يبدأ بتلاوة أول القرآن إلى آخره كلما ختم ختمة أخذ بغيرها؛ وأهل القرآن هم خاصة أحباب الله وأولياؤه: فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ أَهْلِينَ مِنْ النَّاسِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ هُمْ؟ قَالَ: «هُمْ أَهْلُ الْقُرْآنِ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ»، رواه أحمد وابن ماجه والدارمي والحاكم وغيرهم[2]. وروى أبو داود وغيره، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَامَ، [أي: قرأ في قيام الليل] - بِعَشْرِ آيَاتٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنْ الْغَافِلِينَ، وَمَنْ قَامَ بِمِائَةِ

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب القراءات ــ باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، رقم: ٢٩٤٨، وقال: هذا حديث غريب، ((سنن الدارمي)): كتاب فضائل القرآن ــ باب في ختم القرآن، رقم: ٣٤٧٦.

(٢) ((مسند أحمد)): (١٠/٤٠٩)، رقم: ١٢٢١٩، ((سنن ابن ماجه)): كتاب أبواب السنة ــ باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، رقم: ٢١٥، ((سنن الدارمي)): كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل قرأ القرآن، رقم: ٢٣٢٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الحاكم (١/٥٥٦)، ووافقه الذهبي.

آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْقَانِتِينَ، وَمَنْ قَامَ بِأَلْفِ آيَةٍ كُتِبَ مِنْ الْمُقَنْطِرِينَ»[1]، أي: كتب له قنطار من الأجر، وروى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ ثُلُثَ الْقُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ» فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَيُّنَا يُطِيقُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ»[2]. وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ قَرَأَ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حَتَّى يَخْتِمَهَا عَشْرَ مَرَّاتٍ بَنَى اللَّهُ لَهُ قَصْرًا فِي الْجَنَّةِ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: إِذَنْ أَسْتَكْثِرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب تحزيب القرآن، رقم: ١٣٩٨.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، رقم: ٥٠١٥.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ» رواه الإمام أحمد والدارمي[1].

- وأعظم من ذلك الفاتحة المباركة: لما روى البخاري عَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ أُجِبْهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: «أَلَمْ يَقُلْ اللَّهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ ﴿٢٤﴾﴾[2]»، ثُمَّ قَالَ لِي: «لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّوَرِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ الْمَسْجِدِ». ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ: أَلَمْ تَقُلْ: لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ

---

(١) ((مسند أحمد)): (١٢/٢٤٨)، رقم: ١٥٥٤٧، ((سنن الدارمي)): كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم: ٣٤٢٩.

(٢) سورة الأنفال.

الْعَالَمِينَ هِـيَ السَّـبْعُ الْمَثَـانِي، وَالْقُـرْآنُ الْعَظِـيمُ الَّذِي أُوتِيتُـهُ»[1]، قـال الإمـام القـرطبي في تفسـيره: وذكر ابن الأنباري في كتاب الردّ له: حـدثني أبـي، حدثني أبو عبيد الله الورّاق، حدثنا أبو داود، حدثنا شيبان عن منصور عن مجاهد، قال: إنَّ إبليس ـ لعنه الله ـ رَنَّ أربع رنات: حين لُعِن، وحـين أُهـبِط مـن الجنّة، وحين بُعِثَ محمـد ﷺ، وحـين أُنزلـت فاتحـة الكتاب، وأنزلت بالمدينة. اهـ[2].

وروى الطبراني في "المعجم الكبير" عن ابـن عمر رضي الله عنهما أنه قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقـول: «إذا مات أحدكم فـلا تحبسـوه، وأسـرعوا بـه إلى قـبره، وليُقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب، وعند رجليه بخاتمة

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب تفسير القرآن ــ باب ما جاء في فاتحة الكتاب، رقم: ٤٤٧٤.

(٢) ((تفسير القرطبي)): (١٠٩/١).

البقرة في قبره»[1]، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرح البخاري: أخرجه الطبراني بإسناد حسن[2]، وروى الطبراني أيضاً في "المعجم الكبير" عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن أبيه قال: ((قال لي أبي: يا بني، إذا أنا مت فألحدني، فإذا وضعتني في لحدي فقل: بسم الله، وعلى ملة رسول الله، ثم سن عليَّ الثرى سناً، ثم اقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخواتيمها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك))[3]، قال الحافظ الهيثمي في "مجمع الزوائد": رجاله موثوقون.

"أي أخي": إن كنت من أهل الانتباه، فاقرأ بعد كل فرض بفاتحة الكتاب مرّة، والإخلاص

(١) ((المعجم الكبير)): (١٢/٤٤٤).

(٢) ((فتح الباري)): (٣/١٨٤).

(٣) ((المعجم الكبير)): (١٩/٢٢٠).

ثلاثاً، وكَمِل بالمعوِّذتين ففي ذلك ترقيك: قال الإمام النووي في "الأذكار": روينا في سنن أبي داود، والترمذي: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَقْرَأَ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ[1]، وفي رواية أبي داود: «بالمعوذات»[2]؛ فينبغي أن يقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَتُصْبِحُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»، رواه أبو داود، والترمذي، قال الترمذي: حديثٌ حسنٌ صحيح[3].

---

(١) ((الأذكار)): للنووي (ص٧٣).

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب فضائل القرآن ــ باب في الاستغفار، رقم: ١٥٢٣.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب النوم ــ باب ما يقول إذا أصبح، رقم: ٥٠٨٢، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٥٧٥ ، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

اللَّهمَّ؛ اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللَّهمَّ؛ اجعلنا من أهل خاصتك وودك. آمين. يا ربّ العالمين.

ـ أما عموم الذكر، وتحقيقه؛ فقال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾[1]، وقال ـ جلّت عظمته:﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[2]، وفي الحديث القدسي، قال تعالى: «أنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي

(١) سورة آل عمران.

(٢) سورة الأعراف.

مَلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ خَيرٍ مِنْهُمْ» متفق عليه[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ ﷻ إلا حَفَّتْهُمْ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمْ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيهِمْ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمْ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»، رواه الإمام مسلم[2]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»[3]، قال الإمام النووي في "الأذكار": قال الإمام أبو الحسن الواحدي: قال ابن عباس رضي الله عنهما: المراد يذكرون الله في أدبار الصلوات، وغدواً وعشياً، وفي المضاجع،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ــ باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾، رقم: ٧٤٠٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٥.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: ٢٧٠٠.

(٣) ((صحيح مسلم)):كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب الحث على ذكـــر الله، رقم: ٦٧٤٩.

وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى، وقال مجاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً، وقال عطه: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قول الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ هذا نقل الواحدي، وقد جاء في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَيْقَظَ مِنْ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنْ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»، وهذا حديث مشهور رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه في سننهم[1]. وسئل الشيخ الإمام أبو عمر بن الصلاح

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الحث على قيام الليل، رقم: ١٤٥١، ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار ــ باب الترغيب في قيام الليل، رقم: ١٦١٠، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ــ باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، رقم: ١٣٣٥، وهو حديث صحيح. ينظر: ((شروح ابن ماجه)): (١/٥٣٤).

ـ رحمه الله تعالى، عن القدر الذي يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءً في الأوقات والأحوال المختلفة ليلاً ونهاراً، وهي مبينة في كتاب "عمل اليوم والليلة" كان من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات، والله أعلم[1].

ومن عظيم الذكر: الصلاة على رسول الله ـ ﷺ: لقوله ـ عليه الصلاة والسلام: «من صلّى عليّ كل يومٍ مائة مرّة قضى الله له مائة حاجة، وكتب له براءة من النفاق، وبراءة من النار»[2]، روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه عن عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رضي الله عنه عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(١) ((الأذكار)): للنووي (١٠ ــ ١١).

(٢) ورواه ابن النجار عن جابر؛ كما في ((كنــز العمال)): لعلاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان بالمتقي الهندي (ت ٩٧٥هــ)، (١/٧٧٨)، و((جلاء الأفهام)): لابن القيم (١/٤٣١).

يَخْطُبُ ويَقُولُ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً لَمْ تَزَلْ الْمَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»[1]، هذه صلاة الملائكة لكل من صلى على رسول الله ﷺ وأعظم من ذلك صلاة النَّبيِّ محمّد ﷺ بنفسه، لمن صلى عليه - صلوات ربي عليه: لما روى الطبراني عن أنس رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «من صلَّى عليَّ بلغتني صلاته، وصلّيتُ عليه، وكتب له سوى ذلكَ عشر حسنات»[2]؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴿١٠٣﴾﴾[3]، والسكن هو: السكينة

---

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ــ باب الصلاة على النبي ﷺ، رقم: ٩٠٧، قال الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٢/١٣٦): رواه أحمد، وأبو بكر بن أبي شيبة، وابن ماجه كلهم عن عاصم بن عبيد الله عن عبد الله بن عامر عن أبيه، وعاصم وإن كان واهي الحديث فقد مشاه بعضهم، وصحح له الترمذي، وهذا الحديث حسن في المتابعات.

(٢) ((المعجم الأوسط)): (٢/١٧٨)، رقم: ١٦٤٢ قال أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) في ((مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)): رواه الطبراني في "الأوسط" وفيه راوٍ لم أعرفه وبقية "رجاله ثقات".

(٣) سورة التوبة.

التي يسكن لها القلب، وتطمئن لها النفس، ويزيد بها الإيمان، ويحصل بها القربات، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴿٤﴾﴾[1]، وأعظم من ذلك: صلاة الرّب العلي الأعلى بذاته الأقدس ـ جلَّ وعلا، لمن صلى على نبيه ومجتباه ـ صلوات الله عليه، لما روى مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رَسُول اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا»[2]، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ

---

(١) سورة الفتح.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الصلاة ــ باب استحباب القول مثل ما يقول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي، ثم يسأل الله الوسيلة، رقم: ٨٤٧، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب ما يقول إذا سمع المؤذن، رقم: ٥٢٧. قال المهلب: ((في الحديث الحض على الدعاء في أوقات الصلاة، لأنه حال رجاء الإجابة، والله أعلم)) كذا في الفتح.

﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥﴾(1).

اللَّهمَّ؛ صلِّ على الذي شَرحتَ صَدرَه، وعَممتَ ذكره، وصلى عليه ربُّهُ، صلاةً تنحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، ويقضى بها الحوائج، وينال بها الرغائب، ويسقى بها الغمام، بقلبه الشريف، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه ـ إلى يوم الدين ـ عدد قدره، ومقداره العظيم.

ومن أرادَ الرقيَّ والمزيد، فليطلع على رسالتنا السادسة "الموسومة المسماة": "آية الصلاة على النَّبيِّ ﷺ وفوائدها في الدنيا والآخرة".

---

(1) سورة الأحزاب.

قال الإمام النووي: إنَّ الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل[1]. قال المصنف في شرح مسلم عن القاضي عياض: ذكر ابن جرير الطبري وغيره: أنه اختلف السلف في ذكر اللسان والقلب أيهما أفضل؟، قال القاضي عياض: وإنما يتصور عندي في مجرد الذكر بالقلب ـ تسبيحاً، وتهليلاً وشبيههما، ويدل عليه كلامهم، أنهم اختلفوا في الذكر الخفي الذي ذكرناه أولاً، فذلك لا يقاربه ذكر اللسان فكيف يفاضله؟ والمراد بذكر اللسان مع حضور القلب، وإن كان لاهياً فلا، واحتج من رجح ذكر القلب؛ لأن عمل اليسير أفضل، ومن رجح عمل اللسان قال: لأن

---

(١) ((الأذكار)): (ص٩)

العمل فيه الأكثر، لأنه زاد باستعمال اللسان فاقتضى زيادة أجر. قال القاضي: واختلفوا هل تكتب الملائكة ذكر القلب؟ فقيل: تكتبه ويجعل الله له علامة يعرفونه بها، وقيل: لا يكتبونه؛ لأنه لا يطلع عليه غير الله تعالى: قال المصنف في شرح مسلم: قلت: الأصح أنهم يكتبونه، وأن ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل، والله أعلم[1]. وقول القاضي: وإن كان لاهياً فلا، مرادهُ فلا خلاف في فضل الذكر بالقلب حينئذٍ، وليس مراده: فلا فضل فيه، لأنه قال قبله: أما ذكر اللسان مجرداً: فهو أضعف الأذكار، وفيه فضلٌ عظيم ـ كما جاءت به

(١) ((المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)): (١٥/١٧).

الأحاديث. انتهى، ونقله عن المصنف في شرح مسلم.[1].

وذكر الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: "الأربعين في أصول الدين"، قال: واعلم: أنه قد انكشف لأرباب البصائر: أنَّ الذكر أفضل الأعمال، ولكن له أيضا قشور ثلاثة بعضها أقرب إلى اللب من بعض، وله لب وراء القشور الثلاثة، وإنما فضل القشور لكونها طريقاً إليه، فالقشر الأعلى منه، ذكر اللسان فقط، والثاني: القلب إذا كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولو ترك وطبعه لاسترسل في أودية الأفكار. والثالث: أن يستمكن الذكر من القلب، ويستولي عليه، بحيث يحتاج إلى تكلف في صرفه عنه إلى غيره

(١) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)): لأبي الحسن عبيد الله بن محمد عبد السلام بن خان محمد بن أمان الله بن حسام الدين الرحماني المباركفوري (ت ١٤١٤هـ)، (٧/٣٧٦).

كما احتيج في الثاني إلى تكلف في قراره معه ودوامه عليه. والرابع ـ وهو اللّباب ـ أن يستمكن المذكور من القلب، وينمحي الذكر ويخفى، وهو اللّباب المطلوب[1].

وقال الحافظ أبو نُعيم: حدثنا أبو الحسن علي بن هارون قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول، وسأله جعفر: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة؟، ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا؟ فأجابه، فقال: وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه، واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور وأحبها إليه، وختم لنا ولكم بخير. فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته

(١) ((كتاب الأربعين في أصول الدين)): للغزالي (ص٦٦ ــ ٦٧).

القلوب، وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح، وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والإجلال لله، واعتقاد الخوف من الله، وذلك كله فيما بين العبد وربه، لا يعلمه إلا من يعلم الغيب.

والدليل على ذلك، قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[1]، وأشباه ذلك وهذه أشياء امتدح الله بها فهي له وحده ـ جل ثناؤه. وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به، وهو قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[2]، وقوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[3]، فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون ما لفظ به وبدا من لسانه. وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي، وما أضمرته القلوب، مما لم يظهر

(١) سورة القصص.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة الانفطار.

على الجوارح، وما تعتقده القلوب فـذلك يعلمـه ـ جلَّ ثناؤه، وكل أعمال القلـوب مـا عقـد لا يجـاوز الضمير فهـو مثـل ذلـك والله أعلـم. ومـا روي في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية وأن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا، فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملاً فأسره فقد أحب أن ينفـرد الله ﷻ بعلـم ذلـك العمـل منـه ومعناه: أن الله يستغني بعلم الله في عمله عن علـم غيره، وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ولم يعرج على من دونه، فإذا علم ـ جلَّ ذكره ـ بصدق قصد العبد إليه وحده، وسقط عن ذكر مـن دونـه أثبـت ذلـك العمـل في أعمـال الخالصـين الصالحين المؤثرين الله على من سـواه، وجـازاه الله

بعلمه بصدقه من الثواب سبعين ضعفاً على ما عمل من لا يحل محله والله أعلم. انتهى[1].

ـ ومسألة تحقيق الذكر ـ توضيحها في رسالتنا التاسعة: "حنين الفؤاد ـ لأهل العقيدة، والدلالة، والصلاح" ـ بتوفيق الرّحمن الرّحيم ـ جلَّ وعلا.

أيها العزيز إلى رضا المحبوب ـ جلَّ جلاله وعمَّ نواله ـ اعلم: أنَّ على العبد الربّانيّ المتوجه إلى الله سبحانه ـ أن يكون عاملاً بكل أفعال الشريعة الغراء، ممتثلاً بالشمائل المحمدية ـ قولاً، وفعلاً، وسلوكاً ـ اتباعاً، وصفةً ـ إلى منازل القرب والرضوان. اللَّهمَّ؛ حقق لنا جميعاً ـ يا ذا الجلال والإكرام، بمَنكَ ولطفكَ يا ربّ العالمين. آمين .

(١) ((حليه الأولياء)): (١٠/٢٦٤).

ومن المقربات إلى الله تعالى: الصدقة الواجبة، والصدقة العامة: كما قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١٠٣﴾[1]، روى ابن ماجه عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ بِكَثْرَةِ ذِكْرِكُمْ لَهُ، وَكَثْرَةِ الصَّدَقَةِ فِي السِّرِّ وَالْعَلانِيَةِ، تُرْزَقُوا وَتُنْصَرُوا وَتُجْبَرُوا»[2]، أي: تجب دعوتكم وتغتنوا، وروى أبو يعلى بإسناد صحيح عن جابر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لكعب بن عجرة: «يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ، الصَّلاةُ قُرْبَانٌ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلوات والسنة فيها ــ باب فرض الجمعة، رقم: ١٠٨١.

يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، النَّاسُ غَادِيَان، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقٌ رَقَبَتَهُ، وَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقٌ رَقَبَتَهُ»[1]، وعَنْ مُعَاذ بن جبل ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلاَ أَدُلُّك عَلَى أَبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ»، رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح[2]، وقال رسول الله ﷺ: «ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ»، رواه أحمد، وابن خزيمة[3]، وعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ قَالَ: كَانَ مَرْثَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لا يَجِيءُ إِلَى الْمَسْجِدِ إلا وَمَعَهُ شَيْءٌ يَتَصَدَّقُ بِهِ، قَالَ: فَجَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الْمَسْجِدِ وَمَعَهُ بَصَلٌ، فَقُلْتُ لَهُ: أَبَا الْخَيْرِ مَا تُرِيدُ

(١) ((مسند أبي يعلى)): لأبي يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت ٣٠٧هـ) (٣/٤٧٥) رقم:١٩٩٩، قال حسين سليم أسد: إسناده قوي.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان ــ باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٦.

(٣) ((مسند أحمد)): (٣٨/٤٧٥)، رقم:٢٣٤٩٠، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، ((صحيح ابن خزيمة)): (٢/١١٦٦)، رقم: ٢٤٣٢.

إِلَى هَذَا يُنْتِنُ عَلَيْكَ ثَوْبَك، قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّهُ وَاللَّهِ مَا كَانَ فِي مَنْزِلِي شَيْءٌ أَتَصَدَّقُ بِهِ غَيْرُهُ، إِنَّهُ حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ظِلُّ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَتُهُ» رواه أحمد، وابن خزيمة[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «مَا يُخْرِجُ رَجُلٌ شَيْئًا مِنْ الصَّدَقَةِ حَتَّى يَفُكَّ عَنْهَا لَحْيَيْ[2] سَبْعِينَ شَيْطَانًا»، رواه أحمد، والبزار، وابن خزيمة، في صحيحه[3]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: «إن الصّدقةَ لتُطفِئُ عَنْ أهلِها حَرَّ القبورِ، وإنما يستظِلُّ المؤْمِنُ يومَ القيامةِ في ظِلِّ صدقتِهِ»، رواه الطبراني في "الكبير" والبيهقي[4]، وقال ـ عليه

(١) ((مسند أحمد)): (٤٧٥/٣٨)، رقم: ٢٣٤٩٠ ((صحيح ابن خزيمة)): (١١٦٦/٢)، رقم: ٢٤٣٢، قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٢) عظم الذقن أو موضع منبت اللحية.

(٣) ((مسند أحمد)): (٦٠/٣٨)، رقم: ٢٢٩٦٢ ((مسند البزار)): (٣٢٨/١٠) رقم: ٤٤٥٦، ((صحيح ابن خزيمة)): (١١٧٦/٢) رقم: ٢٤٥٦.

(٤) ((المعجم الكبير)): (٢٨٦/١٧)، رقم: ٧٨٨ ((شعب الإيمان)): (٤٩/٥) رقم: ٣٠٨.

الصّلاة والسّلام: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّك أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»، رواه مسلم[1]، وقال ـ عليه الصّلاة والسّلام: «مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُنْفِقِ كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ ثُدِيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا، فَأَمَّا الْمُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلا سَبَغَتْ أَوْ وَفَرَتْ عَلَى جِلْدِهِ حَتَّى تُخْفِيَ بَنَانَهُ وَتَعْفُوَ أَثَرَهُ، وَأَمَّا الْبَخِيلُ فَلا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا فَهُوَ يُوَسِّعُهَا وَلا تَتَّسِعُ» متفق عليه[2]، إن المنفق

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ــ باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن اليد السفلى هي الآخذة، رقم: ١٠٣٦.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ــ باب مثل المتصدق والبخيل، رقم: ١٤٤٤، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ــ باب مثل المنفق والبخيل. رقم: ٢٣٥٦ و ٢٣٥٧ و٢٣٥٨، الحديث ضرب مثلا للبخيل والمتصدق، فمثلهما مثل رجلين عليهما درعان قصيران ضيقان من الحديد، فإذا هم المتصدق بصدقة اتسع درعه وطال حتى يجر على الأرض، والمراد انشرح صدره ففرح لها بكل جوارحه فأخرجها وهو مملوء بالإخلاص، فتقبلها الرحمن بيمينه، وإذا هم البخيل بصدقة انقبضت عليه درعه وانضمت حلقاته إلى=

كلما أنفق طالت عليه، وسبغت حتى تستر بنان رجليه ويديه، والبخيل كلما أراد أن ينفق، لزمت كل حلقة مكانها، فهو يُوسّعها ولا تتسع، فقد شبه ﷺ نعمهُ إليه ورزقه بالجَنّة، وفي رواية بالجبّة، فالمنفق كلما أنفق اتسعت عليه النعم وسبغت، ووفرت حتى تستره ستراً كاملاً شاملاً، والبخيل كلما أراد أن ينفق، منعه الشح والحرص وخوف النقص، فهو يمنعه يطلب أن يزيد ما عنده، وأن تتسع عليه النعم ولا يستتر منه ما يروم ستره[1].

ومنها إطعام الطعام: كما قال الله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ

=بعضها وانضمت يداه إلى عنقه فلم يقدر على إخراجها، والمراد غلب عليه الشح فماتت جوارحه عن فعل الخير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. انظر: ((التاج الجامع للأصول)): (٥/٢٢٠).

(١) ((الترغيب والترهيب)): لعبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله زكي الدين المنذري: (ت٦٥٦هـ) (٢/٢٦).

﴿جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾[1]، فقد جاء النص الكريم ﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ فقد دخل الطعام في المقربات العليا؛ لأن منزلة الحب منزلة عالية عند الحق ـ سبحانه وتعالى، وهو داخل في الإيمان والمحبة: لقوله ـ عليه الصّلاة والسّلام: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ ١٦٥﴾[3]، وإطعام الطعام شأن الصالحين، ومن مقامات القرب إلى الله تعالى؛ كما قال الله سبحانه: ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠﴾[4] لأن إطعام الطعام لوجه الله ـ

---

(١) سورة الإنسان.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الأدب ــ باب إكرام الضيف، وخدمته إياه بنفسه، رقم: ٦١٣٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا عن الخير، وكون ذلك كله من الإيمان، رقم: ٤٧.

(٣) سورة البقرة.

(٤) سورة المنافقون.

سبحانه وتعالى ـ فيه تحقيق الولاية عند الله ﷻ وقد جاء لفظ الولاية لأهل العناية الإلهية صريح في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[1]، فتحقق الأمر بالإيمان الصادق، والتقوى الصالحة الخالصة لوجه الله، وكذلك الصدقة، أو إطعام الطعام: لقوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٢٦٢﴾[2]؛ لأن إطعام الطعام هو من خير خصال الإسلام: لما روى البخاري ومسلم عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ، عَلَى مَنْ عَرَفْتَ

(١) سورة يونس.

(٢) سورة البقرة.

وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ»[1]، بل أنه من أرجى الأعمال المدخلة سريعاً إلى الجنة: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ؟، فَقَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبِئْنِي عَنْ أَمْرٍ إِذَا أَخَذْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «أَفْشِ السَّلَامَ، وَأَطْعِمْ الطَّعَامَ، وَصِلْ الْأَرْحَامَ، وَقُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، ثُمَّ ادْخُلْ الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ»، أي: بغير حساب، رواه أحمد، وابن حبان في صحيحه،

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ــ باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم: ١٢، وباب إفشاء السلام من الإيمان، رقم: ٢٨، وفي كتاب الاستئذان ــ باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، رقم: ٦٢٣٦، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ــ باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم: ١٥٩. قال الخطابي ــ رحمه الله: جعل ﷺ أفضل الأعمال: إطعام الطعام الذي هو قوام الأبدان، ثم جعل خير الأقوال في البر والإكرام: إفشاء السلام الذي يعم ولا يخص من عرف ومن لم يعرف، حتى يكون خالصاً لله تعالى، بريئاً من حض النفس والتصنع، لأنه شعار الإسلام، فحق كل مسلم فيه شائع، وقد ورد في حديث: «إن السلام في آخر الزمان للمعرفة يكون». ينظر: ((موسوعة فتح المُلهِم بشرح صحيح الإمام مسلم بن الحجّاج القُشيري)): لشبير بن أحمد العثماني (ت١٣٩٦هـ)، (٥٧٨/١).

والحاكم، وقال: صحيح الإسناد[1]، ولقوله ﷺ: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلامَ، تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلامٍ»، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه[2].

- وروى الطبراني في "الكبير" بإسناد حسن: قال ﷺ: «إنَّ في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟، قال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»[3].

---

(١) ينظر: ((مسند أحمد))، (٨/ ٥٣)، رقم: ٧٩١٩، ((صحيح ابن حبان)): (٦/٢٩٩)، رقم: ٢٥٥٩، ((المستدرك)): (٤/١٧٦)، رقم: ٧٢٧٨، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الأطعمة ــ باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح، رقم: ١٨٥٥، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام الليل، رقم: ١٣٣٤، وفي كتاب الأطعمة ــ باب إطعام الطعام، رقم: ٣٢٥١، ((مسند أحمد)): (١١/١٥٨)، رقم: ٦٥٨٧.

(٣) ((المعجم الكبير)): (٣/٣٠١)، رقم: ٣٤٦٧، ((المستدرك)): (١/٤٦٦)، رقم: ١٢٤٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: وهو حديث حسن بشواهده. ينظر: ((المستدرك)): (١/٦٣١).

وأنَّ الله تعالى ليُدخل بلقمة الخبز، وقبضة التمر، ومثله مما ينفع المسلمين ثلاثة الجنة: «الآمر به، والزوجة المصلحة له، والخادم الذي يناول المسكين» كما روى الطبراني في "الأوسط"، والحاكم[1].

وأنَّ الله يباهي ملائكته بالذين يطعمون من عبيده: لما روى أبو الشيخ في الثواب، والمطعمون الطعام لهم باب في الجنة لا يدخل منه سواهم؛ فقد روى معاذ بن جبل ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «من أَطْعَمَ مُؤْمِنًا حتى يُشْبِعَهُ من سَغَبٍ أَدْخَلَهُ اللَّهُ بَابًا من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ لا يُدْخِلُهُ إِلا من كان مثله»، رواه الطبراني في "الكبير"[2]. وروى أبو الشيخ في الثواب: عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول

---

(١) ((المستدرك)): (١٤٩/٤)، رقم: ٧١٨٧، ((المعجم الأوسط)): (٢٧٨/٥)، رقم: ٥٣٠٩.

(٢) ((المعجم الكبير)): (٨٥/٢٠)، رقم: ١٦٢.

الله ﷺ: «ثلاثٌ من كنَّ فيه أظله الله ﷻ تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله: الوضوء في المكاره، والمشي إلى المساجد في الظلم، وإطعام الجائع».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنْ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنْ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنْ النَّاسِ بَعِيدٌ مِنْ النَّارِ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِنْ اللَّهِ بَعِيدٌ مِنْ الْجَنَّةِ بَعِيدٌ مِنْ النَّاسِ قَرِيبٌ مِنْ النَّارِ وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ ﷻ مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ»، رواه الترمذي[1].

قال الإمام عبد الله بن المبارك رضي الله عنه، حججت سنة من السنين فكنت في حطيم إسماعيل، فنمت فرأيت في المنام رسول الله ﷺ قال: فإذا رجعت إلى بغداد، فادخل في محلة كذا وكذا، واطلب بهرام

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة ــ باب ما جاء في السخاء، رقم: ١٩٦١.

المجوسي، وأقرئه مني السلام، وقل له: إنَّ الله تعالى راضٍ عنك، فانتهبت، فقلت: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وتوضأت وصليت وطفت بالكعبة ما شاء الله، فغلبني النوم فرأيت كذلك ثلاث مرات، فلما أتممت الحج ورجعت إلى بغداد طلبت المحلة والدار فوجدت شيخاً، فقلت: أأنت بهرام المجوسي؟ قال: نعم، قلت: هل لك عند الله خير؟ قال: نعم جاءت امرأة مسلمة من أهل دينك تسرج من سراجي، فأوقدت السراج، فرجعت وأطفأت، فدخلت ثانية، وأوقدت السراج، وخرجت وأطفأت، فدخلت ثالثا، وأوقدت السراج ثم أطفأت، فقلت في نفسي: لعل هذه المرأة جاسوسة اللصوص، فخرجت خلفها فدخلت منزلها على بنات لها، فلما دخلت قلن لها: يا أماه،

هل جئت لنا بشيء فإنه لم يبقَ لنا طاقة وصبر على الجوع، فدمعت عيناها، وقالت: استحيت من ربِّي أن أسأل أحداً دونه، وخاصة من عدو الله، وهو مجوسي. قال بهرام: فلما سمعت كلامها رجعت إلى داري، وأخذت طبقاً، فجعلته ملآنا من كل شيء، فذهبت بنفسي إلى دارها، قال عبد الله: لك البشارة، وبشرته برؤيا رسول الله ﷺ وقصصت عليه الرؤيا، فقال: أشهد أن لا اله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله[1]، روى ابن حبّان في "صحيحه": عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تعبَّدَ عابدٌ من بني إسرائيلَ فعبَد الله في صَوْمَعَته ستين عاماً، فأُمطرتِ الأرضُ فاخضرّت، فأشرف الراهبُ من صَوْمَعَتِه، فقال: لو نَزَلْتُ

(١) ((نزهة المجالس، ومنتخب النفائس)): لعبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري (ت ٨٩٤هـ)، (١/٢١١).

فذَكرْتُ الله لازْدَدْتُ خيراً، فنزلَ ومعه رَغيْفٌ أو رَغيفان، فبينَما هو في الأرض لقيتْهُ امرأةٌ فلمْ يزلْ يُكلِّمُها وتُكَلِّمُه حتّى غشِيَها، ثم أُغْمِيَ علَيه فنزَل الغديرَ يستحِمُّ، فجاءه سائِلٌ فأومَأ إليه أن يأْخُذَ الرَّغِيْفَيْنِ، ثُمَّ مات فوُزِنتْ عبادةُ ستِّينَ سنةً بتلكَ الزَّنْية فرَجَحتْ الزَّنْيَةُ بحسناته، ثُمَّ وُضِع الرَّغيفُ أو الرَّغيفانِ معَ حسناتِه فرَجَحتْ حسَناتُهُ فغُفِرَ لَهُ»[1]. وقد عدَّ الشارع الحكيم إطعام الطعام من الدرجات، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «وَالدَّرَجَاتُ: إِفْشَاءُ السَّلامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» رواه الترمذي[2].

(١) ((صحيح ابن حبان)): (٢/١٠٢)، رقم: ٣٧٨.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن ــ باب في تفسير سورة ص، رقم: ٣٢٣٥، وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ثم ذكر أنه أصح من حديث الوليد بن مسلم.

قال الإمام الجنيد بن محمد ﷺ: أربع ترفع العبد أعالي الدرجات، وإن قل عمله وعلمه:-

الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق، وهو كمال الإيمان[1].

وقال الإمام عبد القادر الكَيلاني ﷺ: وصلت إلى الله: بالكرم، والتواضع، وسلامة الصدر؛ فقال الإمام أحمد الرفاعي ﷺ، معلقاً على ذلك: فدل كلام الشيخ ﷺ: أن الكرم هو الأساس، والتواضع يتم للسالك به الغراس. فإذا تم له هذان الأمران سلم صدره من العلائق، وزال عن طريقه كل عائق[2]؛ ولذلك ورد في الحديث: «إنَّ في الجنةِ غُرفة يُرى ظاهرُها من باطنِها، وباطنُها من ظاهرِها، أعدها اللهُ

(١) ((إحياء علوم الدين)): (٣/٥٢).

(٢) ((البرهان المؤيد)): (ص٢١٢).

لمنْ ألان الكلامَ، وأطعمَ الطعامَ، وتابعَ الصيامَ، وصلّى بالليلِ والناسُ نيامٌ » رواه البيهقي[1].

اللَّهمَّ؛ أسألك الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما يقرب إليها من قول وعمل.

اللَّهمَّ؛ صلِّ على الحبيب الشفيع، حبيب رب العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ومن المقربات إلى الله تعالى: "الدعاء"، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[2] فالله ـ جلَّ جلاله، قريب إلى عبده المناجي؛ بالاستجابة والمشاهدة

---

(١) ((شعب الإيمان)): (٥/٤٠٠)، رقم: ٣٦٠٩.

(٢) سورة البقرة.

والرحمة، لأن الدعاء من عظيم العبادة: كما قال رسول الله ﷺ: «الدعاءُ مخُّ العبادةِ»، رواه الترمذي[1]، والتزود من العبادة هو: محل الإقبال والرضا من الله ـ جلَّ وعلا: كما قال رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ»، رواه الترمذي[2]، وقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۝٦٠﴾[3]»، رواه الترمذي، وابن ماجه[4].

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب منه، رقم: ٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في انتظار الفرج وغير ذلك، رقم: ٣٥٧١.

(٣) سورة فاطر.

(٤) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في انتظار الفرج وغير ذلك، وقال: هَكَذَا رَوَى حَمَّادُ بن وَاقِدٍ هذا الحديث، وقد خُولِفَ في رِوَايَتِهِ. وَحَمَّادُ بن وَاقِدٍ هذا هو الصَّفَّارُ ليس بِالْحَافِظِ، وهو عِنْدَنَا شَيْخٌ بَصْرِيٌّ وَرَوَى أبو نُعَيْمٍ هذا الحديث عن إِسْرَائِيلَ عن حَكِيمِ بن جُبَيْرٍ عن رَجُلٍ عن النبي ﷺ مرسلاً؛ وَحَدِيثُ أبي نُعَيْمٍ أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ أَصَحَّ، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الدعاء ــ باب فضل الدعاء، رقم: ٣٨٢٨.

"والدعاء": هو العبادة والاستغاثة، وهو الإيمان الدال على الخضوع والتضرع إلى الله تعالى، ومن الرجاء فيه، وصدق الظن فيه، وانتظار الخير على يقين من جهته وفضله ـ جلَّ وعلا. وبهذا المعنى فهو: خُلُقٌ من أخلاق القرآن المجيد، وفضيلة من فضائل الإسلام العظيم، وجانب من هدى الرسول الكريم ﷺ، وهو من أهم مقامات العبودية بين يدي المولى ـ جلَّ في علاه. ومما يدل على عظيم مكانته؛ أن الله تعالى قال: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًۢا ﴾[1]، أي: ما يصنع بكم، وما يبالي بكم، لولا طاعتكم وعبادتكم إياه، ودعاؤكم دعاء العبادة ودعاء المسألة، كما قال أكمل الرسل ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى

(١) سورة الفرقان.

اللَّهِ مِنَ الدُّعَاءِ» رواه أحمد[1]. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إِنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ، وَمِمَّا لم يَنْزِلْ، فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ»، رواه الترمذي[2]، وفي رواية أخرى: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً من قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ»، رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[3]، وفي أخرى: «إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»، رواه أبو داود والترمذي[4]، وفي أخرى: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ ما لم يَدْعُ بِإِثْمٍ أو قَطِيعَةِ رَحِمٍ، ما لم

---

(١) ((مسند أحمد)): (٨/٤٠٨)، رقم: ٨٧٣٣، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٤٨.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الدعاء، رقم: ١٤٩٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم: ٣٤٧٩، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الدعاء ــ باب اسم الله الأعظم، رقم: ٣٨٥٥.

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ــ باب الدعاء، رقم: ١٤٨٨، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ــ باب في دعاء النبي ﷺ، رقم: ٣٥٥٦، وقال: حسن غريب.

يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، ما الاسْتِعْجَالُ؟ قال: «يَقُولُ: قد دَعَوْتُ، وقد دَعَوْتُ، فلم أَرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذلك، وَيَدَعُ الدُّعَاءَ» متفق عليه[1]، قوله: «فَيَسْتَحْسِرُ» أي: يستنكف عن السؤال، وأصله من حسر الطرف إذا كلَّ وضعف؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، ارْزُقْنِي إِنْ شِئْتَ، وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ، إِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، لَا مُكْرِهَ لَهُ»[2] قوله «وَلْيَعْزِمْ مَسْأَلَتَهُ» أي: لا تكن في دعائك متردداً، بل اعزم وجد في المسألة. وفي أخرى: «سمع النبيُّ ﷺ، رجلاً يدعو في صلاته فلم يصلِّ على النَّبِيِّ ﷺ فقال

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات ــ باب يستجاب للعبد ما لم يعجل، رقم: ٦٣٤٠، ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي، رقم: ٦٨٧١.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد ــ باب في المشيئة والإرادة: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۝٣٠﴾ [سورة الإنسان]، رقم: ٧٤٧٧.

النَّبيُّ ﷺ: «عجل هذا»، ثم دعاه، وقال له أو لغيره: «إذا صلّى أحدكم فَلْيَبْدَأْ بِتحْميدِ ربه، وَالثَّنَاءِ عليه، ثُمَّ ليُصَلِّ على النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ لْيَدْعُ بعد بِمَا شَاءَ» رواه أحمد والترمذي وغيرهما[1]، وقال - عليه الصّلاة والسّلام: «ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاه الله تبارك وتعالى إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، وإما

(١) ((مسند احمد)): (١٧٧/١٧)، رقم: ٢٣٨٢١ ، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ((سنن الترمذي)):، كتاب الدعوات ــ باب ما جاء في "جوامع الدعوات"، رقم: ٣٤٧٩، وقال: حديث حسن صحيح، قال العسقلاني في ((الدراية في تخريج أحاديث الهداية)) (١٥٧/١): أخرجه أصحاب السنن الثلاثة، وصححه الترمذي، وابن خزيمة، وابن حبان، وقال الحاكم في ((المستدرك)) (٣٥٤/١): هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال أيضاً في ((المستدرك)) (٤٠١/١): هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولا تعرف له علة، ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرطهما؛ قال حمزة أحمد الزين: ووافقه الذهبي.

أن يدّخر له، وإمّا أنْ يكفّ عنه السوء مثلها»، رواه أحمد وغيره[1].

وفي الحديث القدسي، قال تعالى: «وما تَقَرَّبَ إلي عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إلي مِمَّا افْتَرَضْتُ عليه، وما يَزَالُ عَبْدِي يَتقَرَّبُ إلي بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فإذا أَحْبَبْتُهُ كنت سَمْعَهُ الذي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ التي يَبْطِشُ بها، وَرِجْلَهُ التي يَمْشِي بها، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ»، رواه البخاري[2].

وقال تعالى: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴿١٨٦﴾﴾[3]، فقد جله الوعد بالإجابة، والدعه هنا في سياق الشرط،

---

(١) ((مسند أحمد)): (٥٩/١٠)، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، والحديث عند الترمذي بنحوه في (٥٦٦/٥)، رقم: ٣٥٧٣، في الدعوات، وقال: حسن صحيح غريب عن عبادة بن الصامت، كما صححه الحاكم في "المستدرك" (٤٩٣/١)، ووافقه الذهبي.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ـــ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

(٣) سورة البقرة.

وفي الأصول واللغة: أن الشرط يفيد العموم، قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾[1]، روى ابن أبي الدنيا، والطبراني عَن مَالِكِ بْنِ يُخَامِرَ: أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ لَهُمْ: إِنَّ آخِرَ كَلامٍ فَارَقْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ قُلْتُ: أَيُّ الأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[2]، وروى الترمذي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ؟ قَالَ: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»[3]، فالتحميد، والتهليل،

---

(١) سورة الأحزاب.

(٢) ((صحيح ابن حبان)): (٣/٩٩)، رقم: ٨١٨، ((المعجم الكبير)): (١٠٦/٢٠)، رقم: ١٨١، قال الألباني في "السلسلة الصحيحة" ١٨٣٦: صحيح.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ـــ باب ما جاء في فضل الذكر، رقم: ٣٣٧٥، قال الألباني: صحيح.

والتمجيد، دعاء؛ لقول رسول الله ﷺ: «أَكْثَرُ دُعَائِي وَدُعَاءِ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي بِعَرَفَةَ: لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، رواه البيهقي وابن أبي شيبة[1].

وأعظم من ذلك الفاتحة المباركة، ومن معانيها الشريفة، الدعاء، ومن عظيم شرفها ـ ذكر الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره: أنَّ لها اثنا عشرَ اسماً:-

الأول: سورة الصلاة: قال الله تعالى في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ»، رواه مسلم[2]، وروى الترمذي عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي

(١) ((شعب الإيمان)): (٢/٩٥)، رقم: ٥٧٠ ((مصنف ابن أبي شيبة)): (٦/٨٤)، رقم: ٢٩٦٥٧.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الصلاة ــ باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وأنه إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها، رقم: ٣٩٥.

التَّوْرَاةِ وَلا فِي الإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[1].

الثاني: سورة الحمد، لأن فيها ذكر الحمد؛ كما يقال: سورة الأعراف، والأنفال، والتوبة ونحوها.

الثالث: فاتحة الكتاب، من غير خلاف بين العلماء؛ وسُمِّيت بذلك لأنه تُفْتتح قراءة القران بها لفظاً، وتُفتتح بها الكتابة في المصحف خطاً، وتُفتتح بها الصلوات.

الرابع: أم الكتاب، وفي هذا الاسم خلافٌ، جوزه الجمهور.

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن ــ باب من سورة الحجر، رقم: ٣١٢٥، ((سنن النسائي)) كتاب الافتتاح ــ باب قول الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[سورة الحجر].

الخامس: أم القرآن، واختلف فيه أيضاً، فجوّزه الجمهور؛ لما روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي»، قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1]. وفي البخاري قال: وسُمِّيت أم الكتاب لأنه يبتدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصلاة[2]؛ وقيل: سُمِّيت أم القرآن؛ لأنها أوله ومتضمّنة لجميع علومه، وبه سُمِّيت مكة أم القرى؛ لأنها أول الأرض، ومنها دُحيت، ومنه سُمِّيت الأم أمّاً؛ لأنها أصل النسل، والأرض أمّاً، لقول أميّة بن الصَّلْت:-

فالأرض مَعْقلُنا وكانت أمّنا فيها مقابرنا وفيها نولد.

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب التفسير ــ باب ومن سورة الحجر، رقم: ٣٢١٤.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب تفسير القرآن ــ باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

السادس: المثاني، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تثنّى في كل ركعة. وقيل: سُمِّيت بذلك؛ لأنها استثنيت لهذه الأمة، فلم تنزل على أحد قبلها ذُخْراً لها.

السابع: القرآن العظيم، سُمِّيت بذلك لتضمنها جميع علوم القران، وذلك أنها تشتمل على الثناء على الله ﷻ، بأوصاف كماله وجلالهِ، وعلى الأمر في العبادات والإخلاص فيها، والاعتراف بالعجز عن القيام بشيء منها إلا بإعانته تعالى، وعلى الابتهال إليه في الهداية إلى الصراط المستقيم؛ وكفاية أحوال الناكثين، وعلى بيانه عاقبة الجاحدين.

الثامن: الشفاء، روى الدارمي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «فاتحة الكتاب،

شفاء من كل سمٍ»، ورواية الدارمي عن عبد الملك بن عمير: «في فاتحة الكتاب، شفاءٌ من كل داء»[(١)].

التاسع: الرّقية، ثبت ذلك من حديث أبي سعيد الخدري ﵁، وفيه: أن رسول الله ﷺ قال للرجل الذي رَقى سيد الحيّ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ؟»، قَالَ: "أُلْقِيَ فِي رَوْعِي". متفق عليه[(٢)].

العاشر: الأساس، شكا رجل إلى الشعبيّ وجع الخاصرة؛ فقال: عليك بأساس القرآن فاتحة الكتاب، سمعت ابن عباس يقول: لكل شيء أساس، وأساس الدنيا مكة، لأنها منها دُحيت، وأساس السموات عَربياً أو "غريبا"، وهي السمله السابعة؛ وأساس الأرض عجيباً، وهي الأرض السابعة السفلى؛

(١) ((سنن الدارمي)): كتاب فضائل القرآن ــ باب فضل فاتحة الكتاب، رقم: ٣٤١٣.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإجارة ــ باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، رقم: ٢٢٧٦، ((صحيح مسلم)): كتاب السلام ــ باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم: ٢٢٠١.

وأساس الجنّان جنّة عدن، وهي سُرّة الجنان عليها أسست الجنة، وأساس النار جهنم، وهي الدركة السابعة السفلى، عليها أسست الدركات؛ وأساس الخلق آدم، وأساس الأنبياء نوح؛ وأساس بني إسرائيل يعقوب؛ وأساس الكتب القرآن؛ وأساس القرآن الفاتحة؛ وأساس الفاتحة بسم الله الرّحمن الرّحيم؛ فإذا اعتللت أو اشتكيت فعليك بالفاتحة تشفى.

الحادي عشر: الوافية، قال سفيان بن عُيَيْنَة: لأنها لا تتنصف، ولا تحتمل الاجتزال، ولو قرأ سائر السور نصفها في ركعة، ونصفها الآخر في ركعة لأجزأ؛ ولو نصفت في ركعتين لم يجز.

الثاني عشر: الكافية، قال يحيى بن كثير: لأنها تكفي عن سواها، ولا يكفى سواها. يدل عليه ما

روى محمد بن خلّاد الاسكندراني قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «أمُّ القرآن عوضٌ من غيرها، وليس غيرها منها عوضٌ» رواه الحاكم[1]. [2].

ـ ومن عظيم ذلك خواتيم سورة البقرة، وهي من كرم الله لهذه الأمة المرحومة ـ أمة خاتم النبيين ـ صلوات ربي عليه وعليهم أجمعين؛ لما روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي»[3]، وروى مسلم، والنسائي، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا[4] مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنْ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ

(١) ((المستدرك)): (١/٣٦٣)، رقم: ٨٦٧.
(٢) ينظر: ((تفسير القرطبي)): (١/١١١ ـ ١٣١).
(٣) ((مسند أحمد)): (٣٥/٤٤٦)، رقم: ٢١٥٦٤.
(٤) أي: صوتاً كصوت الباب إذا فتح.

يُفْتَحْ قَطُّ إلا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إلا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: «أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةُ الْكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إلا أُعْطِيتَهُ»(١).

فأُمة أُكرمت بهذا الشرف، وبالقرآن كلِهِ، وبالدين المرتضى، وبالحبيب الخاتم المصطفى ـ صلوات الله عليه ـ كيف تُضام أو تُخزى أو تُذل؛ ولكنه الاختبار، والصبر، والرضا، والجنة؛ كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، رقم: ٨٠٦، ((سنن النسائي)): كتاب الافتتاح ــ باب فضل فاتحة الكتاب، رقم: ٩١٢.

(٢) سورة يوسف.

فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٍۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾[1].

ومن صيغ العموم: في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ الدعاء بعد الصلوات: لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغۡتَ فَٱنصَبۡ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب ﴿٨﴾﴾[2]، لما أخرج ابن جرير وغيره من طرق ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: أي: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وروى نحوه عن الضحاك وقتادة؛ لأن الدعاء بعد المقربات لا يُرد بإذن الله تعالى. فتأمل.

"أي سادة": قال رسول الله ﷺ: «مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلا تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي

(١) سورة التوبة

(٢) سورة الشرح.

الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا»، رواه الحاكم[1]، وأخرج ابنُ السُّنِّي عن فاطمة ﵂، أنه ﷺ، قال لها: «إِذَا أَخَذْتِ مَضْجَعَكِ فَقُولِي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَافِي، سُبْحَانَ اللَّهِ الأَعْلَى، حَسْبِيَ اللَّهُ وَكَفَى، مَا شَاءَ اللَّهُ قَضَى، سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ دَعَا، لَيْسَ مِنَ اللَّهِ مَلْجَأٌ، وَلَا وَرَاءَ اللَّهِ مُلْتَجَأٌ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ، ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾[2]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ١١١﴾[3]. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْ

(١) ((المستدرك)): (٦٨٩/١)، رقم: ١٨٧٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٢) سورة هود.

(٣) سورة الإسراء.

مُسْلِمٍ يَقُولُهَا عِنْدَ مَنَامِهِ، ثُمَّ يَنَامُ وَسَطَ الشَّيَاطِينِ وَالْهَوَامِّ فَتَضُرُّهُ»[1].

ـ الله أكبر، الله أكبر، بسم الله على نفسي وديني، بسم الله على أهلي ومالي، بسم الله على كل شيء أعطانيه ربّي، بسم الله خير الأسماء، بسم الله ربّ الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء، بسم الله فتحت وعلى الله توكلت، الله الله ربّي ولا أشرك به أحداً، نسألك اللَّهمَّ؛ خيرك من خيرك الذي لا يعطيه غيرك، عزَّ جارك وجلَّ ثناؤك ولا إله إلا أنت. اللَّهمَّ؛ اجعلني في عياذك وجوارك من كل سوء ومن الشيطان الرجيم، بسم الله الرّحمن الرّحيم، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢

(١) ((عمل اليوم والليلة)): لأحمد بن محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أسباط بن عبد الله بن إبراهيم بن بُدَيْح، الدِّيْنَوَرِيُّ ابن السُّنِّي (ت ٣٦٤هـ)، (٦٦٧).

﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾[1]، من أمامي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، ومن فوقي ومن تحتي. اللَّهمَّ؛ إني أعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وعظم جلالتك من كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير، اللَّهمَّ؛ أنت غياثي فبك أغوث وأنت عياذي فبك أعوذ وأنت ملاذي فبك ألوذ، يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة، أجرني من خزيك وعقوبتك في ليلي ونهاري ونومي وقراري، لا إله إلا أنت تعظيماً لوجهك وتكريماً لسبحاتك، اصرف عني شر عبادك، واجعلني في حفظ عنايتك، وسرادقات حفظك، وعد عليَّ بخير منك يا أرحم الراحمين.

(١) سورة الإخلاص.

اللَّهمَّ؛ انصر من نصر الدين، واخذل من خذلنا وخذل المسلمين، اللَّهمَّ؛ ربّنا وربّهم ناصيتنا وناصيتهم بيدك اقتلهم واهزمهم يا الله، اعلِ اللَّهمَّ؛ راية الحق والنور المبين ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، يا أرحم الراحمين، ارحم أمة الإسلام، وأوصلنا إليك.

اللَّهمَّ؛ بتوفيقك لحسن الطاعة والأدب، وبتوفيقك لحسن الدعاء والدعوة في سبيلك، وبتوفيقك لحسن الختام والخاتمة، وبتوفيقك الأعظم لحسن اللقاء والرضا، آمينَ آمين، والصّلاة والسّلام على حبيب ربّ العالمين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل بيت النَّبيِّ المكرمين، وأصحاب رسول الله الأتقياء الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم

الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين، واشملنا معهم، آمين آمين آمين. والحمد لله ربّ العالمين.

وهذا مساء ليلة السبت السابع والعشرين من رمضان المبارك، العام الهجري السابع والثلاثين بعد الأربعمائة والألف، وفيه اكتمل هذا الكتاب "ميزان الاعتدال، لحفظ الدين والأحوال" المعروف "بالمقربات" بجزئه الرابع وذلك في منزلي الملتصق بجامع الرباط في منطقة "القلعة"، من مدينة سامراء، من بلد العراق ـ بلد العلم والصلاح والحرب والسلام.

تم الجزء الرابع بتوفيق الله ومَنِّه ويُمنه، وهو: "العمل بالمقربات"، ويليه الجزء الخامس ـ إن شاء الله تعالى، وهو "العمل بالمحبوبات".

خادم الدين والأمة
الشيخ عباس السيد فاضل الحسيني النقشبندي
العراق ـ سامراء ـ القلعة

فهرس الكتاب